9me Année No. 412

Lundi - 26 - 5 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤١٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٦ مايو سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

مثـــــل الغنى الصالح

أنا لا آلف بنى قارون بحكم مَرْباى ومَحْياى وطبعى . لا آلفهم لأن فيهم شموخاً على الناس لا يدرى أحد ما سَبَبُه ، لا هم آلهة فيرزقوا ، ولا هم أناس فيحسنوا ؛ إنما هم صنف من خلق الله إلههم الذهب ، ومعابدهم البنوك ، ورسالتهم أن يظلموا أنفسهم بالشح ، ويظلموا غيرهم بالأثرة

حبسوا مُشاع الرزق فى خزائن من الحديد ومخازن من الأسمنت ؛ ثم جعلوا عليها أقفالاً من صنع الشيطان لا تنفتح إلا لتأخذ ؛ واستغلوا ما ركب الله فى طباع الناس من تقديس المال وتمجيد أهله ؛ فجعل لهم نفوذاً فى الحكم ، ورأياً فى التشريع ، وسلطاناً على العامة . وكان من وراء جشعهم وشحهم وأثرتهم وسلطتهم ودالَّتهم أن اختلت موازين الخير ، وتكدرت مجارى النعمة ، واحتكرت منابت الرزق ؛ ووجد الضعيف مجاله الحيوى ضيقاً فاضطرب فيه ، وحظه المقسوم مغتصباً فسكت عنه ؛ ومن هنا نشأت مشكلة الفقر وما نجم عنها خلال القرون من نظم وأحكام وعظات ومقالات وثورات وحروب

ما رأيت قارونيًّا إلا ملكنى نوع من الشعور يحسه من يلقى سجَّان النعمة وحابس القوت وغاصب الحياة . وكان فى مقدور كل غنى أن يكون رسول سلام وملاك حب لو أنه فقه معنى الدين ، وفهم حقيقة الإنسان . وإن اللذة التى يجدها الغنى البَرُّ حين يرى صنائعه يرتعون فى معروفه ويستظلون بجاهه،

لأصدق وأعمق من اللذة التي يدركها الغني الفاجر حين يرى ضحاياه يغمسون خبزهم في الدماء والدموع والعرق

على أن التعبير باللذة عن ذلك الشعور الآثم الذي يجده الغني اللئيم في بؤس الناس فيه تجوّز لجهلنا اللفظ الذي يطلق على هذا الوجدان في هذا الحيوان. وبحسبي أن أضرب لك مثلين: رجلين أحدهما فاجر والآخر برّ، لتدرك بنفسك الفرق بين أثر الغنى في قلب دجا فيه الكفر، وبينه في قلب أشرق فيه الإيمان

عرفت من لئام الأغنياء رجلاً وصفته منذ عامين لقراء الرسالة فلا أسميه؛ وكان مما أملاه لسانه على قلمي قوله:

أفرط عليّ الغنى حتى غطى على بصيرتي وبصري، فلم أعرف أن لي ديناً له حرمة، وزوجة لها حق، وأولاداً لهم رعاية. وعشت لنفسي، بل لمالي: أفنى النهار له وأسهر الليل عليه، حتى كرهتني أسرتي، وحقرتني عشيرتي، وسئمتني حياتي. وأصبت بمرض عقام برى عظام ساقي وفخذي فلم أستطع المشي ولا النهوض. واستولى ولدي البكر على مفاتيح الكنوز وأنفق على نفسه وزوجه وأمه وأخواته الذهب والحرير والنعيم والأبهة، وتركوني سطيحة في حجرة منعزلة لا يدخلها علي إلا الخادم بالماء والثريد والقهوة. ولا أدري لماذا استمرت في نفسي اليوم شهوة الأكل ورغبة المتاع، فأنا أشتهي كل شيء، وأبتغي كل شيء، ثم أنظر في يدي الجشاعة المكسوب فإذا هي ممروقة كيد المسلول، فارغة كراحة السائل؛ وأدور بعيني في الحجرة الموحشة فأرى أطياف الذين لجمتهم في أموالهم وآمالهم تخفق على الجدران ساهمة حزينة، فأتذكر كم مدين أغرقت، وكم بيت أغلقت، وكم قلب سحقت، فتنهل مدامعي انهلال القطر على خدي النائر الشاحب، وأتمنى لو تعود قدرتي على ثروتي فأمحص خطاياي بإنفاقها كلها في سبيل الله؛ ولكن هيهات هيهات لما أرجو! لم يبق لي منها إلا حريق القلب في الدنيا، وحريق الجسم في الآخرة. حتى الدواء لا أناله، وحتى الكفن لا أرجوه! وكأنما أمات الله نصفي الساعي، وأبقى على نصفي الشاعر، لأدرك بعيني وفكري وخيالي مضّ الألم الذي يحسه المظلوم يُغتصَب ولا يستطيع أن يدفع، والمحروم يشتهي ولا يستطيع أن يجد، والمهموم يتلظى ولا يملك أن يموت

ذلك مثل، والمثل الآخر رجل يسرني أن أكشف قليلاً عن اسمه: هو الأستاذ «م. محمود جلال». عرفني هذا الرجل قبل أن أعرفه، وسعى إليّ دون أن أسعى إليه؛ وتلك مخالفة لرسوم الكبراء لم تقع من غيره. ثم حدثني وكتب إليّ، وزرته ثم كشفت عنه، فعلمت أنه رَجُلُ وَحْدِهِ في هذه الطبقة. لا يعتبر الغنى غاية كما يعتبره الأشحة، وإنما يعتقده سبيلاً غايته السعادة. والسعادة في رأيه معنى منتشر لا يجتمع لنفسه إلا بسعادة أسرته وأمته وملته. فهو لا يحتكر ولا يدخر ولا يطمع. إنما ينفق غلة أرضيه الواسعة على نامه الحاضر فلا يبقي شيئاً منها إلى قابل. وعلى هذا المبدأ يتسنى لإيمانه الكامل أن يعمر نواحي المعروف بفعله. والإيمان الكامل هو الإيمان بالله؛ لأن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بكل ما يدخل في مفهوم الحق والخير والجمال. يتجلى ذلك الإيمان في تدبيره لبيته، وتربيته لبنيه، ومعاملته لفلاحيه، وإدارته لثروته، ونيابته عن أمته. فبيته المؤسس على الرضوان والتقوى متحف فن ومكان عبادة ودار ضيافة. وأولاده البنون والبنات قد أخذهم بأدب الإسلام، فهم يؤدون الصلوات، ويتنافسون في الخيرات، ويحفون من حول أبيهم كالملائكة لا يتكلمون إلا في العلم أو في الدين أو في الأدب. وهو في مزارعه بين أجرائه، كالأب الشفيق بين أبنائه: لا يجهد الضعيف ولا يرهق الفقير ولا ينهك المدين. أقام لهم المساجد واستقدم إليها الوعاظ والحفاظ وأهل العلم؛ وأنشأ المدارس واستخدم فيها أولي الكفاية في التعليم والتربية؛ وأسس المستشفيات ودعا إليها الأطباء المختلفين بالتناوب، وصرف فيها الأدوية بالمجان؛ وهيأ لفلاحيه ومستأجريه وسائل الصحة والراحة، وقطع من بينهم أسباب الحقد والخصومة، حتى أغناهم عن الحكومة فلم يتقدموا إليها في دفع مظلمة أو أداء معونة

وهو في البرلمان يمثل الدفاع عن الحق الكامل والرأي الثابت، لا يبتغي من ورائه الوصول إلى الحكم لأنه لا يوصّل إليه، ولا الحصولَ على الجاه لأنه من قبل ذلك حاصل عليه

وهو في كل مكان يبذل من يده ومن قلبه ما يكفكف الدمع ويخفف المصاب ويساعد على حدثان الدهر؛ فأخلصت النفوس في خدمته وأجمعت القلوب على حبه

ذلك يا أخي الفقير مثل الغني الصالح الذي استطاع أن ينشئ عالماً مستقلاً يسود فيه السلام والحب، ويرضى عنه الله والوطن. فلو أن جميع الأغنياء اتبعوا سبيله لمنحتَهم حبَّك وإكبارَك، وشاركت في الدفاع عنهم صديقنا الدكتورَ المبارك

احمد حسن الزيات

رأي الامام المراغى
فى إصلاح الأزهر

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددا

فى سنة ١٩٢٨ وفى ولايته الأولى على الأزهر ، قدم الأستاذ الأكبر المراغى إلى أولى الأمر فى الحكومة هذه (المذكرة) الصريحة التى ضمنها زبدة رأيه فى إصلاح الأزهر منهاجا وغاية . وهذه المذكرة — كما تراها — هى مقطع الصواب فى هذا الباب ؛ وما نظن أحداً ممن تحرى وجوه الصلاح لهذه الجامعة الاسلامية العظمى قد بلغ من ذلك بعض ما بلغ الامام فى هذه الكلمة . والأستاذ المراغى قد وضع هذه المذكرة لتكون برنامجه فى سياسة الأزهر ، ثم أقرتها الحكومة وارتضتها الأمة ، فلم يبق عليه إلا أن ينفذ ما وضع ويطبق ما شرع . ولكن أزهر (المراغى) لا يزال كأزهر (الظواهرى) يغير فى الشكل ولا يغير فى الموضوع ، ويستعير هيكل (الجامعة الحديثة) ، ويحتفظ بروح (الجامع القديم) ! فهل يستطيع كاتب من الكتاب ، أن يبين الحوائل ويشرح الأسباب ؟ (الزيات)

المذكرة

أوجب الدين الإسلامى على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه إلى الناس « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »

وأوجب على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى السبيل الموصلة إليه « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »

وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعى إلى نشر الدين وإقناع العباد بصحته ، وعلى وجوب حمايته من نزعات الإلحاد وشُبَه المضلين

وفى الكتاب الكريم آيات كثيرة تحث على النظر فى الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع . وقد لفت النظر إلى ما فى العالم الشمسى من جمال باهر ، وصنع محكم ؛ ولفت النظر إلى ما فى الحيوانات من غرائز تدفعها إلى الصنع الدقيق والأعمال التى لها غايات محدودة ، وأشار إلى سير الأولين ، وحث على العلم وفاضل بين العلماء والجهال

وأعمال السلف الصالح وسير العلماء لا تدع شبهة فى أن الدين الإسلامى يطالب من أهله السعى إلى معرفة كل شىء فى الحياة

وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله فخلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات فى جميع فروع العلم، ودرسوا أصول المذاهب فى العالم، ودرسوا الديانات . ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفاً فى زمنهم ، وكتبوا المقالات فى الرد على جميع الفرق ، وكانت للعقل عندهم حرمته وله حريته التامة فى البحث ، وكان الاجتهاد غاية يسمى إليها كل مشتغل بالعلم متفرغ له

ولكن العلماء فى القرون الأخيرة استكانوا إلى الراحة ، وظنوا أنه لا مطمع لهم فى الاجتهاد ، فأقفلوا أبوابه ، ورضوا بالتقليد ، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم ، وابتعدوا عن الناس ، فجهلوا الحياة وجهلهم الناس، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث ، وجهلوا ما جد فى الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء ؛ فأعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الدينى الذى خصصوا أنفسهم له ، وأصبح الإسلام بلا حملة وبلا دعاة بالمعنى الذى يتطلبه الدين !

فى الدين الإسلامى عبادات وعقائد وأخلاق ، وفقه فى نظام الأسرة، وفقه فى المعاملات مثل البيع والرهن، وفقه فى الجنايات

وقد عرض الدين الإسلامى لغيره من الأديان ، وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان ، وأشار إلى بعض الأمور الكونية فى النظام الشمسى والمواليد الثلاثة من : جماد ونبات وحيوان .

وقد هوجم الإسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة : هوجم من أتباع الأديان السابقة ، وهوجم من ناحية العلم ، وهوجم من أهل القانون

لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جداً تتطلب معلومات كثيرة : تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها ، ومعرفة ما فى الأديان السابقة ، ومعرفة ما يجد فى الحياة من معارف وآراء ، ومعرفة طرق البحث النظرى وطرق الإقناع ، وتتطلب فهم الإسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهماً صحيحاً ، وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها ، وتتطلب معرفة التاريخ العام، وتاريخ الأديان والمذاهب، وتاريخ التشريع وأطواره ، وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع

والأمة المصرية أمة دينها الإسلام ، فيجب عليها وهي تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ، ليرقى حملته ويكونوا حفاظاً ومرشدين يدعون الناس إليه

ولا يوجد دواء أنجع من الدين لإصلاح أخلاق الجماهير ، فإن العامة تتلقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لا تحتاج إلى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب جذاب إلى الفضيلة بعمله ويحسن بصره في تصريف القول في مواضعه ، ولذلك كان الدعاة إلى الفضيلة قديماً وحديثاً يلجأون إلى الأديان يتخذونها وسائل للاصلاح ؛ بل إن كل دعاة المذاهب السياسية وحملة السيوف لم يجدوا بداً من الرجوع إلى الأديان وصبغ دعواتهم بها ، كل ذلك لأن حياة المجتمعات لا تدين لنوع من أنواع الإصلاح إلا إذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الإيمان

والأمة المصرية ، بل والأمم الشرقية جمعاء ، تدهورت أخلاقها فضعفت لديها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والإقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات ، وضعفت الروابط بين الجماعات ، فلم يعد الفرد يشعر بآلام الآخرين ومصائبهم ، وقد أثرت الحياة الفردية في حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الأمم ورضيت من المكانة بأصغر المنازل

وقد أرى أن الأمة المصرية وهي تريد النهوض والمجد وتتطلع إلى حياة سياسية راقية ؛ يجب عليها أن تذكر دينها ، وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شأنهم ، وترقى تعليمهم ، وتضعهم في المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتي يجب أن يكون عليها حملة الدين . أما إهمال هذه الناحية والسعي إلى ترقية النواحي الأخرى من حياة الأمة ، فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المنشود ، فالخلق هو العمود الفقري للأمم لا يمكنها أن تنهض بغيره ، وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه وهذب دعاته

وقد كان الأزهر مصدر أشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها إلى البلاد الإسلامية . وقد أصابه ما أصاب غيره في الشرق من خمول وضعة . فيجب على الأمة المصرية وهي تحمل راية الأمم الإسلامية أن تنقي هذا المصباح (الأزهر) من الأكدار ، وأن توجد له جهازاً قوياً يستمد نوره منه على طريقة تتناسب مع ما جد في العالم من أطوار في العلم وفي التفكير وفي الحوار والتخاطب وفي طرق الاستدلال والبحث . والدولة تنفق على الأزهر قدراً عظيماً من المال لا تستطيع أن تمنعه عنه ، ولا تستطيع أيضاً أن تلغي الأزهر وما يتبعه من معاهد لتوجد بدلها معاهد أخرى ؛ فالحاجة إلى إصلاح الأزهر واضحة لا تحتمل نزاعاً ولا جدالاً

وإني أقرر مع الأسف أن كل الجهود التي بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في إصلاح التعليم ؛ وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه . وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الأزهر ، أن يغير التعليم في المعاهد ، وأن تكون الخطوة إلى هذا جريئة يقصد بها وجه الله تعالى ، فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة

يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعاني، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة ؛ وأن يبتعد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية

يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى مما جد فيها وابتدع، وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الإسلام الصحيحة

يجب أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة . وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها ، والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف ، وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الإسلامي ، ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره في مواطن الاختلاف . ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها ، وأسباب التفرق ، وتاريخ الفرق الإسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها

يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها

وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى ، والمواليد الثلاثة ، مما يتوقف عليه فهم القرآن فى الآيات التى أشارت إلى ذلك

يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف، وأن يضاف إلى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث فى بحث اللغات وآدابها

يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة (فى عصور الإسلام الزاهرة) والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية . وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ما هو قطعى فيه محافظة تامة ، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد .

يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين ، لأن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم عامة ودينه عام ، ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة ، والأمكنة المختلفة ، وإن لم يفعل هذا فإنه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الأمم الإسلامية ، وكما حصل فى الامة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الاسلامى لأنها وجدته بحالته التى أوصله إليها العلماء غير ملائم . ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة، وراعى الضرورات والحرج ، لما تركته إلى غيره لأنه يرتكن إلى الدين الذى هو عزيز عليها

ولست أنسى أن هذه الدراسة التى أسلفت بيانها دراسة شاقة تحتاج إلى مجهود عظيم ، وتحتاج إلى رجال قد لا نجدهم فى طائفة العلماء ، وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون ؛ ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه ، وتوجب علينا السخاء والبذل لأننا نريد إصلاح أعز شىء على نفوس الجماهير ، ونريد بهذا الإصلاح تقويم هذه الأمة ونهوضها

* * *

بعد أن ذكر الأستاذ الأكبر هذا البيان الشامل لما ينبغى أن يكون عليه الإصلاح ، أتبعه بذكر الأسس الإجمالية للنظام الذى ينبغى أن يكون عليه الأزهر والمعاهد الدينية ؛ وهى أسس لا يكاد نظام الأزهر المعمول به الآن يخرج عنها . وقد جاء فى أثناء ذلك فقرات هامة لا بد من تسجيلها

منها قوله :

« عند ما فكرت الحكومة المصرية فى إنشاء مدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية فى المدارس الأميرية ، كان العلماء فى الأزهر لا يعنون إلا بدراسة القواعد وفلسفتها دراسة نظرية بعيدة عن التطبيق ، وبدراسة الألفاظ وخدمة عبارات المؤلفين ، ولا يعنون بالغاية من اللغة ولا بخدمة اللغة نفسها !

يشهد بذلك أن أسلوب الكتب المؤلفة فى تلك الأيام بعيد كل البعد عن اللغة . ويشهد بذلك أن بعض كبار العلماء ممن شاهدناهم لم يكونوا يحسنون التعبير عن أغراضهم ، ولا تزال منهم بقية إلى اليوم . وكان العلماء لا يدرسون شيئاً من العلوم العامة كالتاريخ والحساب والهندسة وتقويم البلدان . وكانوا يحافظون على ما هم عليه أشد المحافظة ، ولا يرون الخير إلا فيما هم فيه ؛ فلم تكن معلوماتهم العامة ولا طرائق تعليمهم مؤهلة لتوليهم تعليم النشء فى المدارس الأميرية على النحو الحديث

وعند ما فكرت الحكومة فى إنشاء مدرسة القضاء الشرعى كان الأزهر على النحو الذى وصفته ؛ وكان فيهم علماء يحرمون تقويم البلدان والتاريخ والحساب ، ويكتبون مقالات فى الجرائد ضد هذه العلوم . وكان ولاة الأمور يشكون من أن القضاة لا يعرفون الأرقام، ولا يعرفون طرق التوثيق، ولا يعرفون من العلوم العامة ما يجب أن يعرفه شخص يتولى الحكم بين الناس

وقد بدل الله هذه الأحوال ، وأصبح قانون الأزهر مشتملاً على ضمن العلوم التى كانت تدرس من قبل ، وأصبح يدرس فيه التاريخ الطبيعى ، وتدرس فيه الطبيعة والكيمياء ، ويدرس فيه الجبر والهندسة ؛ وقبل الأزهر فى قسم تخصص القضاء الشرعى دروساً فى وظائف الأعضاء ، ودروساً فى التشريح قبل الأزهريون كل جديد ، وأعدوا أنفسهم له ، وزالت كل العقبات التى كانت من قبل ، ولم يبق إلا إصلاح طرق التعليم وإيجاد المعلمين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعاً صحيحاً ، وإذا كانت

هناك بقية تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة في طريق الإصلاح

في الدولة الآن مدارس متعددة بنوع واحد من التعليم: فيها دار العلوم لتعليم اللغة، وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة، فيها مدرسة القضاء الشرعي للفقه ونظم القضاء، وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء، وفيها تجهيزية دار العلوم، وفي الأزهر أقسام تماثلها

تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها، ومن الممكن أن تقتصد في هذه النفقات، ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض وتوحد جهودها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة

في الدولة أشكال مختلفة من العلماء تخرجوا في مدارس مختلفة، يحسد بعضهم بعضاً وينقم بعضهم على بعض، ولهذا أثره في إفساد الأخلاق

لم لا يحملنا هذا كله على التفكير في توحيد الجهود وتوحيد النفقات؟»

ومنها في وصف الكتب القديمة قوله:

«هي كتب معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية، وإنما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها، وعرف اصطلاح مؤلفيها... وأرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها. فنحن في حاجة إلى رسل بين القديم والحديث. وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثاً جيداً؛ فلا بد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون به فهم تلك الكتب القديمة ومعرفة تلك الطرائق القديمة، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك في أسلوب حديث، ولذلك فإنه يجب أن يراعى في النظام الجديد للأزهر عدم إهمال طرقه الأصلية في البحث وفهم الكتب»

ومنها قوله:

«وهناك أمر لا يصح الإغضاء عنه: ذلك أن وجود مدارس دار العلوم والقضاء وتجهيزية دار العلوم مؤثر في الأزهر والمعاهد من حيث الرغبة فيهما، لأن نتيجة الأزهر — إذا لم يخرج قضاة ومحامين وعلماء للغة العربية في مدارس الحكومة — تقتصر على إخراج علماء للمعاهد وخطباء للمساجد، وهي نتيجة غير مرغبة، ومن شأنها أن تجعل التعليم الديني في المعاهد مقصوراً على بعض الطبقات التي ليس لها في الحياة آمال سامية، وهذه الطبقات وحدها قد لا تؤتمن على هذه الوديعة: وديعة الخلق الديني والثقافة الإسلامية. ومن الواجب ألا يغيب عنا ونحن نتقدم لتهذيب التعليم الديني وتقويم أخلاق الأمة، أن نشجع الطبقات الراقية على الدخول في هذه المعاهد لتقوم بما يطلب منها من العناية بالأخلاق

«وأمر آخر، وهو أن سلب الامتيازات القديمة التي كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأي العام داخل الدولة المصرية وخارجها في الأقطار الأخرى في سمعة الأزهر والمعاهد، ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم، وأن ترد إليه مجده»

لوجه الله ولوجه الحق

معضـــــلة المعضلات

في مصر والشرق

للدكتور زكي مبارك

قبل أن أشرع في التعقيب على مقال الأستاذ عباس محمود العقاد ألتفت إلى بعض القراء فأقول: لا يستطيع الكاتب أن يظفر بثقة القارئ إلا إذا زهد في تلك الثقة كل الزهد، وليس معنى هذا أن يستهين الكاتب بعواطف القارئ، ولكن معناه أن يتحرر من رغبة الظفر بثقة القارئ، ليستوحي العقل والقلب والوجدان، وقد خلص من شوائب التودد إلى بعض الآراء والأهواء، فعندئذ يطمئن القارئ إلى أنه يقرأ كلاماً سلم منبعه من أقذاء التصنع والرياء

أكتب هـذا وقد تلقيت في الأسابيع الأخيرة رسائل يدعوني بها كاتبوها إلى الخروج من الميدان الأدبي، بحجة أني أبلبل أفكارهم وأدخلهم في محرجات من الحقد والبغضاء، وهم يعجبون من أن يصبر عليّ قراء «الرسالة» على كثرة ما آذيتهم في تلك الأعوام الطوال (؟!)

وأجيب بأني أعجب مما يعجبون، وأشتهي الخروج من الميدان الأدبي، لأخلو إلى نفسي لا إلى قلمي، ولأتذوق الراحة من متاعب التفكير في نفع القراء

ولكن خاطراً واحداً يصدني عما أريد ويريد بعض الثائرين: وهو الخوف من أن يخلو الميدان الأدبي من كاتب يثير في صدور القراء ثائرة الغيظ والحقد من حين إلى حين. فتلك الثائرة من أكرم الحظوظ الوجدانية، ولا تخلو الصدور من معاني البغض إلا حين تخلو من معاني الحب، ومن البغض والحب يقوم هيكل الوجود

فالأديب الذي يثور ويهتاج كلما قرأ لي مقالاً لا يرضيه، هذا الأديب سيعض بنان الندم إن استجبت لرجائه فطويت عنه عدوان قلمي. وكيف يعيش هذا الأديب وهو لا يجد الكاتب الذي يبلبل أفكاره ويدخله في محرجات من الحقد والبغضاء؟

أخوف ما أخاف على اللغة العربية أن يصير جميع كتابها من المرضيّ عنهم في جميع الشؤون، فالكاتب الذي يرضى عنه القراء في جميع الأحوال قد يتعرض للتفاهة والابتذال، وقد يمسي وهو حالٌ لا يجيد غير مضغ الحديث المعاد، إلا أن يرتفع جميع القراء فلا يرضيهم غير الذهن المبتكِـر والعقل الوثاب

وما الذي يوجب أن نجعل رضا القراء غاية من الغايات؟

وكيف نهون على أنفسنا فنقبل ذلك الضرب من الاستعباد؟

وبأي حق ندعو إلى الحرية إذا أصخنا لدعوات بعض القراء فحرمنا أقلامنا نعمة الحرية؟

وما الذي يغضبكم، يا قراء هذا الزمان، ونحن لا نصوّب سنان القلم إلى عيوب المجتمع إلا بتلطف وترفق؟

ما الذي يغضبكم وقد «راعينا خواطركم» فلم نؤدّ من رسالة القلم غير كلمات ملفوفة لا يندحر بها باطل ولا ينتصر بها حق؟

ما الذي يغضبكم وقد أطعنا بعض القلوب الخوامد، فعققنا روح العصر أبشع العقوق؟

كانت العصور الخوالي تسمى عصور الظلمات، ومع ذلك استطاع الأسلاف أن يواجهوا الجماهير بأفكار وآراء نعجز عن روايتها في هذا الجيل، فأين عصركم من تلك العصور؟ وأين أنتم من أولئك الرجال؟

قضت ظروف الحرب بإعلان الأحكام العرفية، وقضت الأحكام العرفيـة بمراقبة ما يُنشَر في الجرائد والمجلات، فما الذي وقع؟

لم تتعرض الرقابة لمقالات الكتاب بالمحو والإثبات إلا بلطف ورفق، أما الجمهور فيرى أنه على كل شيء رقيب، وهو يعطّل حركة الفكر بلا تهيب ولا استبقاء، وهو يدعي ما لا يملك من السيطرة على القلوب والعقول، وهو يؤذي من يخدمونه صادقين، وهو يحاول إخماد الجـذوة الأدبية لتصبح آثار الأقلام وهي رسوم وأطلال

ما نظرت في الرسائل التي «يتحفني» بها بعض الناس إلا أشفقت على مصير اللغة العربية، فهذه اللغة لا تحيا إلا إذا صارت أداة لتسجيل الحقائق والأباطيل. لن تحيا لغة العرب إلا إذا وجد فيهـا القارئ كل ما تشتهي العقول والقلوب والأهواء، على نحو ما يجد القارئ في لغة الفرنسيس والإنجليز والألمان. لن تحيا اللغة العربية إلا إذا أصبح أدبها وهو أشبه الأشياء بالحدائق التي تجمع الأطايب من شتى الأفانين، وفيها

مع ذلك أشواك وأدغال تؤوى الفواتك من الحشرات والثعابين

وما نظرت فى مصاير الكتاب الذين « أدّبهم » قرائهم إلا جزعت : فالدكتور فلان كان خليقاً بأن يقيم فى مصر نهضة فلسفية ؛ ثم « أدّبه » قراؤه ، فهو اليوم « رجل طيب » يرى الفلاسفة زنادقة وملحدين ؛ والأستاذ فلان كان جديراً بأن يبعث فى مصر وثبة اجتماعية ؛ ثم « أدّبه » قراؤه ، فهو اليوم أكبر نصير لمأثور العادات والتقاليد ؛ والشيخ فلان كان أهلاً لحمل راية السلف الصالح ؛ ثم « أدّبه » قراؤه ، فهو اليوم رجل متحذلق يسره أن يتسم بوسم التجديد ليضاف إلى أبناء العصر الحديث ! ! !

فماذا يريد أن يصنع معى قرائى ؟

هل يتوهمون أن فى مقدورهم أن « يؤدبونى » فلا أقول بغير ما يسرهم أن أقول ، ولا أكتب إلا فى حدود ما يشتهون ؟

هيهات ، ثم هيهات ! !

سأحرص على الصدق فى جميع الأحوال ، ولن يقرأوا لى حرفاً إلا وهو من سور ضميرى ؛ ولهم أن يجرّبوا قدرتهم على الانصراف عن أدبى : فأنا أتحدث عن آرائهم وأهوائهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، وأنا أقرب إليهم من أنفسهم ، وأعرف منهم بسرائرهم ، وأقدر على التعبير عما يجول فى ضمائرهم من نفثات الخوف وخطرات الأمان

لو كنا نعيش فى زمان سليم من الآفات لعرف قومٌ أنْ لا موجب لشتمى فى خطابات مغرّمة قد تزيد عن الآحاد فى بعض الأسابيع

وما الذى يوجب أن أُشتم ولم أقترف غير إجادة التعبير عما فى زمانى من مشكلات ومعضلات ؟ ؟

إن هذا البغى يزيدنى حرصاً على الثبات فى ميدان الجهاد ، وستأتى إجازة الصيف بعد أيام فأفرُغ لمكافحة ما أراه من طغيان الأوهام وانحراف الآراء

ومعاذ الحق أن يكون قرائى جميعاً من الجاحدين ، فتحت يدىّ مئات من الرسائل تشهد بأن الرجل المخلص لا يضيع بين قومه الأكرمين . ولو نشرت رسالة الأديب « م . ا . ش » والأديب « م . ع . ف » ، والأديبة التى تكتب من الأُرمان ، لعرف بعض الناس أن فى الدنيا قلوباً يستهويها الصدق ، وبالصدق وصلنا إلى كرائم الطيبات ، فلله الحمد وعليه الثناء !

أما بعد ، فما الذى جاء فى مقال الأستاذ العقاد ؟

كان مقال هذا الباحث المفكر مؤيداً لما قلت كل التأييد ،

فأنا قلت : « الفقر مرض ولكل مرض أسباب ، كما أن الغنى عافية ولكل عافية أسباب »

وهو قال : « عندنا نحن أن الفقر داء كسائر الأدواء ، يصيب المريضَ به من إهماله كما يصيبه من ضعفه الموروث ، ويصيبه مع الحيطة إذا جرى مجرى الوباء الذى تنتشر عدواه ، كما يصيبه مع ترك الحيطة فى هذه الحال وفى غيرها من الأحوال »

والطريف فى هذه الكلمة هو النص على أن مرض الفقر قد يصيب أهل السعى فى طلب الرزق إذا جرى الفقر مجرى الوباء ، وليس هذا مما نحن فيه ، ولكنه ينفع حين يجب العطف على من سُدّت فى وجوههم المسالك لأسباب يعجز عن دفعها أهل الأمانة والاجتهاد[1]

وأنا قلت : « إن الغنى يشهد لأهله بقوة الأخلاق الاجتماعية والماشية ، وإن الأغنياء عِماد المجتمع ، وبفضل قدرتهم على تدبير المال يرجع الفضل فى تجميل الوجود »

وهو قال : « لست أنا ممن ينكر فضل البراعة المالية ، لأنها فى الحقيقة براعة لازمة لتأسيس المرافق الاجتماعية والأخلاق القومية ، وتنظيم العلاقات ، واستثارة الهمم ، وتوزيع الأعمال التى لا يستبحر بغيرها عمران »

وأنا قلت : « إن التغرير بالفقراء ودعوتهم إلى انتظار أنصبتهم فى أموال الأغنياء تقتل المواهب الإنسانية ، وإن الحزم يوجب أن نذكّرهم فى كل وقت بأن الغنى لا يوهب وإنما هو ثمرة الكدح الموصول فى طلب الرزق الحلال »

أما الأستاذ العقاد فيقول : « إن الأمان كل الأمان ، خطر على الهمم والأذهان ، فإن كثيراً من الجهد النافع مبعثه طلب الأمان فى المستقبل ، وشعور النفس بالحاجة إليه فى أخريات الحياة . فإذا اطمأن إليه كل حى من بداية حياته فترت حركته وغلب عليه حب الاستقرار ، ومُنِىَ العالم بخطر من جرّاء ذلك هو أخطر عليه من الإجحاف فى تقسيم بعض الأعمال وتوزيع بعض الأرزاق »

ومعنى هذه العبارة أن بعض منافع الدنيا مدين فى وجوده إلى ما يستشعر الناس من الخوف ، وأن انعدام الخوف قد يكون

(١) الاجتهاد كلمة صحيحة فى هذا الموضع

أخطر على العالم من الإجحاف في تقسيم بعض الأعمال وتوزيع بعض الأرزاق

وكذلك قلت ، فقد صرحت بأن استنامة الفقراء إلى ما قد يوزّع عليهم من أموال الأغنياء ستخلق فيهم ضروباً من الطمأنينة تصرفهم عن الكفاح في التسبب والارتزاق

ثم مضى ذلك الكاتب البليغ فسرد من غرائب الحظوظ أشياء وأشياء

وأقول بصراحة إني لن ألتفت إلى تلك الغرائب ، لأنها فوق الطب والعلاج ، فستمضي أجيال وأجيال قبل أن يصح ذوق المجتمع فلا يستوي عنده الطيّب والخبيث ، ولا يصبح المخلوق التافه وهو آثر عنده من الرجل الحصيف

وما الموجب لانتظار تلك العافية الاجتماعية ، وهي العدل المطلق ، والعقاد نفسه يرى أن ذلك العدل قد يقضي على الدوافع الحيوية فينعدم الاندفاع الصالح والاندفاع الذميم على السواء ؟

لن ألتفت إلى ما يقع في المجتمع من غرائب الحظوظ ، ولن أجيب من يسألني عن أقوام تلطف معهم الدهر المخبول ، ولن أقول كلمة في الوارثين ، بحجة أنهم يرزقون بلا كدّ ولا اجتهاد ، فلو عطل نظام الميراث لانعدم النشاط الإنساني بعض الانعدام ، ولآثر الناس جميعاً أن تكون جهودهم مقصورة على كسب القوت من يوم إلى يوم . ولو قلنا الحق كل الحق لصرحنا بأن الميراث هو أجل نظام عرفته الإنسانية ، فهو الشاهد على أن الجهاد في طلب الرزق لا يضيع ، وأنه قد يصل إلى الأعقاب وأعقاب الأعقاب ، وذلك أقوى حافز لتأريث عزائم الرجال

لن ألتفت إلا إلى ظاهرة واحدة : هي شيوع الفقر في البيئة المصرية ، مع كثرة وجوه الارتزاق

الفقر في مصر كثير وفظيع ، ودميم وشنيع ، وملعون وقبيح ، إلى آخر ما في اللغة من ذميم الأوصاف والنعوت . ومصر مع ذلك أخصب بقاع الأرض ، وهي جديرة بأن تضفي على جميع أبنائها أثواب النعيم ، لو عرفوا كيف يجاهدون الفقر جهاد الرجال

قلت : إن أسباب الفقر كثيرة ، ولكنها ترجع إلى ثلاثة أسباب أساسية ، هي الكسل ، وقلة الأمانة ، والرضا بالدون من مطالب الوجود

وهنا صرخ المتحذلقون فقالوا : إنك تجعل الفقر علة فردية مع أنه علة اجتماعية

وقد أجبت بأن الفرد هو الحجر الأول في بناء المجتمع ، فالمجتمع أفراد أضيف بعضهم إلى بعض ، وبذلك يشهد من زوّده الله بزاد العقل

ثم صرخ جماعة آخرون فقالوا : أنت أديب ، فما شأنك بالمعضلات الاجتماعية ؟!

فمتى يفهم الغافلون أن الأدب صورة الحياة ، وأن الأديب رجلٌ يعيش كما يعيش سائر الرجال ، وأنه قد يحسّ بلايا الحياة بأقوى مما يحسها زعماء الاقتصاد ؟

ألأني أديب يُحرَّم عليّ أن أتمرّض للمكاره التي يعانيها وطني في الميادين الاجتماعية والمعاشية ؟

يقول فلان إنه قرأ ما لم أقرأ من الكتب التي تبحث في أسباب الفقر والغنى

وأقول إني رأيت ما لم ير فلان من أخلاق الناس في ميدان المعاش ، لأني رجل ممتحَن بطلب الرزق ، وطلّاب الرزق « يرون » أكثر مما « يقرأ » فلان وفلان

أليس من العجب أن يتحدث جماعةٌ عن العمال والصنّاع والفلاحين في مصر بعد قراءة كتاب عن العمال والصناع والفلاحين في بلاد الإنجليز أو بلاد الألمان ؟

أكثر هؤلاء المتحذلقين لا يعرفون شيئاً عن بلادهم ، وأكثر المتوجعين لشقاء الفلاح المصري لا يرونه إلا بعيون من قرأوا لهم من الكتاب الأجانب

ولست بحمد الله من أولئك ولا هؤلاء ، فأنا لا أستوحي كتاباً قرأته ، وإن كنت أحرص الناس على القراءة والاطلاع ، وإنما أستوحي ما تراه عيناي ، ولي مصالح معاشية تسوقني سوقاً إلى درس أحوال العمال والصناع والفلاحين : فلي معهم في كل يوم شأن وشؤون ، وبفضل ما ساقتني إليه المقادير من الاهتمام بالحياة المعاشية ، سأصل إلى قرارة الضمير المصري ، وسأعرف ما هو عليه من تحليق وإسفاف

كنت دعوت الأستاذين الكبيرين الزيات والعقاد إلى إبداء رأيهما فيما قلت به من أن الفرد هو الحجر الأول في بناء المجتمع

وقد أجاب الأستاذ العقاد بما رأى القراء ، فما هو رأي الأستاذ الزيات ؟

كتب هامشاً قال فيه : « إن رأي « الرسالة » في الفقر والفقراء معروف »

وهو كذلك ، ولكن ما رأيكم إذا سجلت على الأستاذ الزيات أنه صرح فى إحدى افتتاحياته بأن « الرسالة » قضت عاماً كاملاً فى استنهاض الأغنياء إلى البر بالفقراء ، فلم يسمع سامع ولم يستجب مجيب ؟

ألم أقل لكم : إن الاعتماد على الأغنياء يضر أكثر مما ينفع ؟

الأغنياء يخافون من معاملة الفقراء لأسباب لا يجوز النص عليها بغير التلميح ، فمتى نرجع لمحاسبة أنفسنا بصدق وإخلاص ؟

أنا أرجع إلى نفسى من وقت إلى وقت ، لأرى كيف تقدّم زملائى وتخلّفت ، فأرى أنى المسئول الأول والأخير ، لأن فى شمائلى جفوة تجمل النهور من صور الشجاعة الأدبية ، مع أن بين الشراسة والشجاعة أبعاداً يعجز عن طيّها البرق اللمّاح .

وأنا أنصح قرائى بما لا أنصح به نفسى ، لأنى أومن بأن للكاتب شخصيتين مختلفتين بعض الاختلاف : شخصية من يمثل عقله ، وشخصية من يمثل هواه ؛ فأنا أخاطب قرائى بعقلى ، وأخاطب نفسى بهواى ، إلى أن يلطف الله فلا أصدُر فى جميع أحكامى إلا عن وحى العقل

ثم أما بعد فأنا أدعو إلى بناء المجتمع المصرى من جديد

أدعو إلى خلق الجاذبية بين الأغنياء والفقراء ، ليشعر الغنى بأن الفقير هو الذى حمل على كاهله أحجار القصور الشوامخ ، وهو الذى عانى عرق الجبين فى استنبات البقول ، وليشعر الفقير بأن الغنى هو الذى دبر المال لتصير مصر إلى ما صارت إليه من وفرة المصانع والمتاجر والمزارع والخيرات

أدعو الغنى إلى التألم لألم الفقير والتوجع لبلواه ؛ وأدعو الفقير إلى الدعاء للغنى فى أعقاب الصلوات

أدعو أولئك وهؤلاء إلى التعاون الصادق بأمانة وعطف ، ونزاهة وصدق

وأكره أن يتدخل الكتاب الراءون فى إفساد ما بين الأغنياء والفقراء

أكره أن يحاول كاتب منافق أن يتسم بوسم المصلح الاجتماعى وهو مأجور للشيطان الرجيم ، وإن خدع نفسه فتخيل ثم خال أنه رسول الاشتراكية فى هذه البلاد

لقد شبعت مصر من الكتاب المرائين فى الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فمتى تملن مصر شوقها المتوقد إلى كتّاب لا ينافقون ولا يخادعون ؟

إن صراحتى فى الكلام عن الفقراء والأغنياء صنعتْ ما صنعتْ فى تبصيرى بدقائق من أحوال الناس وخلائق المجتمع ، وأشنعُ ما دلتنى عليه هو أن فى مصر كتاباً كسالى ، وهم الذين يرون ما أرى ، ثم يصدّهم الكسل عن الاصطلاء بما اكتوت به يداى ، وفيهم الباحث الذى تحدث عن انقراض « الأجاج » فما الأجاج ؟

أمِثْلى يُدْعى إلى الخروج من الميدان الأدبى ليتمتّع الغافلون بنعمة الصفاء ؟

لا ، والله ، فسأتعقب الغافلين فى جميع الميادين ، ولن أسكت عن كلمة الحق ولو آذيت بها أعزّ أصدقائى

ارجعوا إلى أنفسكم ، يا بنى آدم من أهل هذه البلاد ، ولا تحوجونى إلى ضرب الأمثال ، فما أحب أن تشقوا بالحقائق المجردة من إفك التزيين والتهويل

بداية البلاء هى الرضا عن النفس ، والنفس أمّارةٌ بالسوء ، فكيف ترضون عن أنفسكم ، مع دعوى التسامى إلى معرفة أسرار الوجود ؟

من قرارة القلب أمتاح هذه المعانى ، لأقتل فتنةً لا تزال فى المهد ، فمن اتهمنى بسوء النية فإلى الله إيابه ، وعلى الله حسابه ؛ ومن الله وحده أنتظر حسن الجزاء

زكى مبارك

الحياة الزوجية
في نظر الاسلام
للأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

ينظر الإسلام إلى الحياة الزوجية نظر اهتمام ورعاية ، ويعتبرها بحق الوضع الأساسي لتكوين أسر طيبة تتألف منها أمة قوية تمثل روح الاسلام في أخلاقها وسمو آدابها ، وفي عظمتها وسلطانها . ويعلمنا الاسلام أن الحياة الزوجية ليست فكاهة من متع الحياة فحسب ، حتى يتعفف عنها بعض الناس ، وليست مغنماً تجارياً ، حتى يتخذها الرجل شبكة يصيد بها أموال النساء ، أو تتخذها المرأة شركا تصيد به أموال الرجال ، وإنما هي وسيلة ضرورية يكمل الرجل بها نفسه ، وتكمل المرأة بها نفسها ؛ فكلاهما شطر ناقص لا يتم وجوده إلا بصاحبه ؛ ولا تعمر الدنيا إلا بهما معاً . ومن أجل ذلك وضع لها الاسلام أسباباً قوية تقوم عليها ، وحاطها بالكثير من محفظاته ، حتى تكون محببة إلى الزوجين ، وليسد عنهما مداخل الشيطان بينهما

فهو يدعو — أولاً — إلى الحياة الزوجية في تأكيد من النصح ... وبعد أن تتركز الفكرة عند من يستجيب لدعوته يرسم لنا — ثانياً — طريق الخطبة ، واختيار الزوجة والزوج ، ليباعد بيننا وبين التورط في الوقوع وراء رغبة عارضة ، أو طوعاً بمظهر خاطف . فإذا قامت الحياة الزوجية في وضعها الصحيح بين لنا — ثالثاً — أن لكل من الزوجين آداباً يجب أن يرعاها نحو صاحبه ؛ ليتصل القلب بالقلب ، وتركن النفس إلى النفس ، فلا تتبدل الحال بينهما من خير إلى شر ، ومن يسر إلى عسر ، « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، إن الله بكل شيء عليم »

١ — الدعوة إلى الحياة الزوجية

يقول الله تعالى في شأن الزوجات والأزواج : « هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن » فإذا كانت الزوجة في نظر القرآن كاللبس للرجل ، وكان الرجل كاللبس للمرأة ، فحاجة كل منهما إلى صاحبه كحاجته إلى اللبس ، فإن يكن اللبس لستر معايب الجسم ، ولحفظه من عاديات الأذى ، وللتجمل والزينة ، فكل من الزوجين لصاحبه كذلك . يحفظ عليه شرفه ، ويصون عرضه من التهم ، ويوفر له راحته ومحبته . ومن يستغني عن هذا ؟ إنما يستغني عنه من لا يبالي بشرفه ، ولا يعنيه أن يكون هدفاً للأنظار الساخرة ، ولأقاويل السوء تنال من سيرته ، ولا يتألم شعوره لتعطيل النمو في أسرته وفي أمته

ويقول تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ... » فهذه الآية تنبه الرجل والمرأة إلى أن من أعظم دلائل قدرته وآيات كرمه أن خلق للرجل زوجة من لحمه ودمه ليكون الإلف أتم ، والجاذبية أقوى ، ولتكون الزوجة مأوى له ، يسكن إليها وقت فراغه ، فيأنس بحنوها ، ويتفيأ بظل عطفها ، ويستمد من جانبها هناءة العيش وروح التشجيع في حياته ، فتهون عليه متاعب الأعمال ، ويستهين بالكفاح في الدنيا ، ويستقبل شأنه كل يوم بعزم قوي وأمل جديد ؛ وهكذا دواليك ؛ ليظل البناء في صعود ، وعمارة الكون في ازدياد ؛ وهذه سنة الله تعالى ، فقد أقام دنيانا على البناء والتعمير ولن تجد لسنة الله تبديلاً

كذلك من دلائل كرمه التي حدثتنا بها الآية أنه جعل بين الزوجين مودة حب ، ورحمة عطف ، ثابتتين لا تبليان كما تبلى مودة غير الزوجين ممن جمعت بينهما الصدف ، أو ألفت بينهما الشهوات

فمن انقطع عن التزوج فقد فاتته سلوة الحياة وأسلم نفسه للوحشة البغيضة ؛ وقد يصادفه يوم قريب أو بعيد يتمنى فيه لو تدارك ما فاته

ويقول تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » وفي اعتبار البنين زينة الدنيا ترغيب قوي في الزواج . فإن النفس مطبوعة على حب الدنيا وزينتها بأكمل ما يستطيع المرء تحصيله

ويقول عز شأنه : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » . فهو يأمرنا بتزويج الأيامى : وهم أهل العزوبة

ولو كانوا من العبيد المملوكين ، ويطمئننا من جهة الرزق فيقول : « إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم » .

ويحدثنا المولى سبحانه عن الأنبياء وعن المؤمنين الصادقين بأنهم كانوا يتمنون الذرية الطيبة ، والزوجة الموفقة الممتعة ، فإبراهيم عليه السلام كان يقول : « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعائي » ؛ وزكريا عليه السلام كان يقول : « رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء »

فأنت ترى مقدار حرص النبيين على الذرية الطيبة ، وليس للذرية سبيل غير الحياة الزوجية ؛ وهذا ما كان يدعو به المؤمنون فيقولون : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً » .. فالأمل الذي تردد على ألسنة النبيين والمؤمنين في الزوجة والذرية ، مظهر صادق لسلامة الطبع وصدق الإيمان ، حتى ليرويه عنهم القرآن ويمتدحهم به ، ويشهد لهم بحسن المقصد وصواب التقدير لما في الحياة الزوجية من خير لهم وللناس . وها هم المؤمنون يختتمون دعاءهم بإجمال الطلب في قولهم : « واجعلنا للمتقين إماماً » ؛ وهذا هو القرآن يشيد بتلك الأماني ، ويعدهم بالاستجابة : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا — الجنة — ويلقون فيها تحية وسلاماً ... »

وفي هذا النبأ عن الأنبياء والمؤمنين توجيه للناس أن يأخذوا بأسباب التقليد لأولئك الصفوة ، ومتابعة السير على هداهم : قضاء لحق الدين ، وتلبية للطبيعة ، ورعاية لحاجة الأمة في الإكثار من سوادها وتقوية جماعتها ... وهذا هو ما أجمله النبي (ص) في قوله : « تناكحوا ، تناسلوا ، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة »

فهذه دعوة ملحة جهر بها النبي (ص) في صراحة أكيدة ورددها في وجه الشباب بنوع خاص ، إذ هم مطمح الأمل ، وهم القوة التي يشتد بها ساعد الأمة ، وعلى أيديهم نهضتها ممثلة في كل أعمالهم ، فيقول النبي (ص) : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ... » ، يعني من تيسرت له وسائل الحياة الزوجية ، فعليه أن يفعل

وإن النبي ليرثي لمن تخلف عن الحياة الزوجية ، وينبه إلى أن شيئاً آخر لا يعدلها ، وإن تهيأ لبعض الأذهان القاصرة ، أو لبعض النفوس التي ألهتها مطامعها وشهواتها في غير هذه الناحية عن هذه الناحية

فيقول (ص) في ذلك : « مسكين ، مسكين رجل ليست له امرأة . قالوا : وإن كان كثير المال ؟ قال : وإن كان كثير المال ، مسكينة ، مسكينة امرأة لا زوج لها . قالوا : وإن كانت كثيرة المال ؟ قال : وإن كانت كثيرة المال » ... فأنت ترى من حكم النبوة ، بل من وحي الرسالة ، أن متاع المال وإن كثر لا يعدل متاع الزوجه للرجل ، ولا متاع الزوج للمرأة

وإن يكن في الدنيا ضروب من المتاع وألوان أخرى للحياة فلعل الحياة الزوجية أول هذه الضروب وأصدق هذه الألوان . ولسنا نعني مطلق الزوجة ومجرد اقتناء الحليلة ، بل الزوجة التي تكفل للزوج هناءة ووفاقاً ، على ما يأتي — بعد — من أوصافها . وذلك ما أوحي به إلى النبي (ص) وجرى على لسانه في إيجاز عذب وكلمات أخاذة هي قوله : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة »

لا نجد من القول للترغيب في الدنيا وامتداح ما فيها خيراً من هذا ولا قريباً من هذا . وإنه لإحباط وتزييف لما يحاوله نفر من الناس في الترغيب عن متع الحياة وصرف النفوس عما خلق الله من الطيبات . فلم تكن الدنيا وما اشتملته من مظاهر القدرة وأنواع الخير إلا متاعاً للأنسان : يناله ، ويشكر ، ويمن به المولى — بعد — على عباده ، ويثيب من شكر . ثم يترقى كلام النبي (ص) في المدح لمتاع الدنيا فيقول : « وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » . أفرأيت ما يجذب الرجل نحو الزوجة خيراً من هذا وأبلغ ؟ أو رأيت أن الزوجة تعتبر خير متاع في الدنيا ثم ينظر إليها فريق منا نظرتهم إلى شيء مشؤوم ، ويفرون منها فرارهم من أمر بغيض ؟ ؟ هذه غاية الغايات في امتداح الحياة الزوجية . أفلا يكون التغاضي عنها إلا من مكابر استعذب المر واستمرأ الخبيث ؟ ؟ إنه لكذلك

ولقد اعتزم ثلاثة من أصحاب النبي (ص) أن يجتهدوا في العبادة ، فاختار أحدهم أن يصوم دائماً ، واختار الثاني أن يصلي ليله دائماً ، ورغب الثالث أن يترك الزواج دائماً ، فجاء إليهم النبي (ص) وقال لهم : « أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » فهو يأبى على أصحابه أن يهجروا الدنيا للدين ، وأن ينقطعوا عن النساء ليتصلوا بالعبادة ، ويعلمهم أنه لا رهبانية في الإسلام ، وأن ما يحسبونه متاعاً محضاً إن هو إلا دين محض ، وهو على ما فيه من ترضية النفس أكرم وسيلة لترضية الله ، وخير سنة نأخذ بها عن رسول الله ، فمن زهد في متابعته فليس من دينه في شيء ، ولا من الصلة بالنبي على طرف

وإذاً كان الانقطاع للعبادة أمراً مستهجناً ، والتعفف عن الزواج لذلك نبواً عن الدين ، وجهلاً بمزاياه . فما بالك بمن يعتاض عن الزيجة الحلال بمن لا تحل ؟ وما ظنك بمن يعاف الطيب الشهي ويتكالب على القذر الكريه ؟ رب : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ... »

ورضي الله عن عمر فقد قال يوماً لرجل أعزب يراه قادراً على الزواج : لا يمنعك من الزواج إلا عجز أو فجور

وكذلك قال بعض الأئمة من سلف المسلمين : ليست العزوبة من الإسلام في شيء ، ومن دعاك إلى ترك التزوج فقد دعاك إلى غير الإسلام . ولقد صدق الله ورسوله ، وصدق الأئمة السابقون

وبعد ، فهذه طائفة من القول في دعوة الإسلام إلى التزوج ومفهوم طبعاً أن العاجز — لعذر قاهر — مطلوب إليه أن يتعفف عن الحرام حتى تتهيأ له الفرصة « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله »

فماذا لقيت دعوة الله ورسوله عند أهل الجيل الذي نعيش فيه ؟ لقيت رواجاً غير منظم في الطبقات الصغيرة ، ولقيت إعراضاً غير منظم في الطبقة المستنيرة ، حتى أصبحت الفوضى في محيط الجماعة الأولى ، وبين الجماعة الأخيرة مثلاً سيئاً تتهم به الحياة الإسلامية ، وأصبحت ترى الفتيات الصالحات للزواج يتطلعن إلى الزوج فلا يجدنه ، وتلتمس الفتيات المهذبات أمامهن في الرجل فلا يصادفنه

ووراء ذلك ما وراءه مما يحزن كثيراً ولا يسر قليلاً . ووراءه ما وراءه من كساد يطفئ لمة الشباب في وجوه الحسان ، ومما يساور الآباء والأمهات على بناتهم من هموم وأحزان

فكم من آهات حزينة ، وتنهدات موجعات تلتهب بها قلوب الآباء والأمهات !

فمتى يكون في مصر قانون يردع ، ما دامت القلوب لا تخشع ، والآذان لا تسمع ؟

(لها بقية) عبد اللطيف محمد السبكي
المدرس في كلية الشريعة

في «عين شمس»

للأستاذ شكري فيصل

— ١ —

لم أعرف «عين شمس» قبل هذا اليوم؛ ولم يقدر لي أن تصافح عيناي هذه الجنبات الفساح، وتلك الأرض المنطلقة. وما أدري أين كان مني هذا الهدوء السمح، وهذه الطبيعة الضاحكة، وذاك الجمال المنثور هنا وهناك... لقد قنعت بنفسي فانطويت عليها، وزهدت في الناس فانصرفت عنهم، وقضيت في القاهرة سنوات فإذا أنا أعيش في هيا كل الوحدة، ومعابد العزلة، وكهوف الانقطاع البعيد... وإذا أنا أحيا بهذه الأجواء التي أنشرها، وهذه الدنى التي أنثرها، وتلك الرؤى التي أهيم بها... وإذا أنا أنتزع قبس الحياة من أعماقي، وأمد زيته من دمي، وأعيش في عالي الرحب، أطوف فيه، وأسكن إلى ظلاله الوارفات

— ٢ —

وفي القطار إلى «عين شمس» كانت تمر بي كل هذه الضواحي الفينانة، القائمة على برزخ الحياة، المستلقية على قدمي الصحراء، السابحة في بحر النور... فأعجب كيف غبت عنها كل هذا الأمد الطويل، وهذا المدى المتباعد. ولكني أثيب إلى نفسي فأذكر أن لي قلباً وقفته على ملاعب الصبا، ومسارح الطفولة، وجنات الفوطة؛ وأن في أعماق خلجات استأثر بها الحنين، واستبد بها الشوق؛ وأن في أضالعي روحاً تخفق للأسرة الناعمة والبيت الندي والوطن البعيد

لشد ما ملكت علي نفسي هذه الضاحية الضاحكة... لقد أحسست فيها الحياة، وشعرت معها بالانطلاق، وامتدت بي آفاق النظر هنا وهناك، لا تحدها عوائق، ولا تقف من دونها حواجز، ولا يمنع عنها النور جدران قائمة وأبنية متراصة

— ٣ —

إن الصحراء النائمة على ذراع الأفق، الممتدة على صفحة الدنيا، لتبعث ألواناً من الأحاسيس، وتثير أنغاماً من العواطف، وتبث المعاني الرائعة من السلام والهدوء... لا يملك معها الإنسان إلا أن يستجيب لها، ويتحد معها، ويفنى فيها

لقد وقفت في ساعات الضحى أتأمل هذا الفضاء الواسع فاجتمع علي الألق والشعاع والنسيم... كانت الأضواء الراقصة تداعب جفني، وتريدهما على الإغماضة الخفيفة في ظلال الرؤى والمباهج... وكانت النسمات الرخية تعبث بشعوري فتمر عليها باليد الناعمة واللمسة الخفيفة... وكان الألق الفضي ينسكب فوق كل شيء، فإذا الدنيا تموج في بريقه المتقد، وتتلألأ في سناه الوضاء

— ٤ —

لم يعد يشوقني إلا أن أنظر إلى بعيد. أشهد الصحراء العارية على شاطئ الأفق. لقد تجردت من كل شيء: من البناء المرتفع والعشب النامي، والشجر المخضل... وأوغلت في البعد... وذهبت تتغلغل في خضم واسع من الزرقة الخفيفة:. لقد غابت فيه فلم يعد يظهر منها إلا هذه الذيول التي ألقت بها على الشاطئ تلك الساعات الترعة، وتكتسي السراب الخادع... ثم ظهرت من جديد... فإذا الشمس تفيض عليها حلة من نورها الخاطف وألقها الوضاء... وإذا هي تبدو صافية نقية ناعمة، طهرتها السماء، وكساها النور، وفاض منها الجلال

يا لروعة الصحراء!... إن رمالها المتراصة لتغني على مسمع الزمن أنشودة رائعة من أناشيد القوة والمجد، وإنها لتوقع لحناً بارعاً من ألحان الكرامة والنبل، وإنها لتكتب صفحات بارزات (في كتاب) الصفاء والطهر... فمتى نخلص إلى هذه الصحراء لننجو من غدر المدنية؛ وأثقال الحضارة، وأوضار المجتمع...؟ ومتى نعيش على هذه الرمال نستمع إلى حداثها، ونصغي إلى غنائها، وننعم بصفائها الطهور؟؟

— ٥ —

أخذت أطوف مع الظهيرة في أطراف الضاحية... لا أخشى لفحات الشمس، لأن النسائم اللطاف كانت تذهب بشدتها وتحيلها ضوءاً ناعماً، ولوناً زاهياً، ونوراً حلواً... ومضيت في جنباتها

المتباعدة ؛ ووقفت أمام هذه الدارات المنثورة على أكناف الطرق أشهد بساطتها المحببة ... كان أروع ما فيها هذه الحدائق القائمة على كتف الصحراء ، وهذا الياسمين المنتثر على الرمال الصفراء ، وتلك الأزاهير الفواحة فى الأرض الجدباء . . . لقد ضمت عالمين متباعدين فألفت بينهما ، فإذا الخضرة الزاهية تتموج على حفافى الصحراء الصامتة ؛ وإذا الزهر الندى يقبل الرمل الحالم ، وإذا دنيا الحضارة والترف تتآخى مع دنيا الجلال والخشونة ، فى عالم رائع أخاذ

— ٦ —

كان كل شىء فى « عين شمس » يسلمنى إلى سلسلة بعيدة من مفاتن الجمال ... لقد أحسست النشوة فى كل نظرة ، ووجدت الهدوء فى كل مشهد ، وأحببت الصحراء فوق ما كنت أحبها ، وفنيت فى أجوائها المتسعة ، وفى فضائها الرهيب . . . ولم ألق الخشوع مثل ما لقيته فى فناء مسجدها الجامع . . . لقد صليت على الرمل الممتد ... فإذا أنا أحلق فى عوالم مُثلى وسموات عليا ، وإذا أنا أنسى كل شىء وأغيب عن كل شىء ، وأن هدى كل ما حولى ، وإذا أنا أنشد الحقيقة الحقة ، والخير المحض ، والجمال المطلق . . . وألتمس إلى ذلك الهداية والنور ، وأحس اليقين والاطمئنان ؛ وأجد من اللذاذات ما لم أجده من قبل فى مكان

— ٧ —

حين جلست فى المساء أنتظر أن ينشق هذا الهدوء الضافى عن القطار الصاخب ، كان كل ما حولى يرتل نغمة السكون على هدهدة الليل الهابط ... لقد انتثرت على صفحة السماء قطع متناثرة من الغيم الوردى الزاهى ، واستعارت الدنيا لحظات هذا اللون الجميل ، فصبغت به كل ما حولها ... ثم لم يلبث أن اضطرب واهتز كما يهتز الطير الذبيح ... لقد طمس عليه الليل ، فغابت آخر شعاعاته من الأفق حين كان عامل المحطة يبعث أول ألسنة النار الحمراء فى كومة من الخشب المشتعل

... لشد ما تمنيت أن أكون فى « عين شمس » هذا العامل السعيد ... !

« القاهرة » شكرى فيصل

من تسابيح القلب

نشيد المغرب الباكى ...

[إلى فاتنتى بسحرها الشقى ... !]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

إِذَا مَا اللَّيْـلُ نَادَاكِ
وَغَـنَّى حَوْلَ دُنْيَاكِ
نَشِيدَ المَغْرِبِ البَاكِى فَهُبِّى وَانْشُرِى فَجْرَا
عَلَى أَحْـلَامِهِ الحَيْرَى
لَعَلَّ جِرَاحَهَا تَبْرَا ...
وَكُونِى فِى الدُّجَى شِعْرَا
يَهُزُّ النَّيِّبَ إِنْشَادَا وَيُسْعِدُ عُمْرِىَ الشَّاكِى
أَنَا اللَّيْلُ الَّذِى نَادَى وَمَا غَنَّيْتُ إِلَّاكِ ! !

* * *

وَإِنْ طَارَتْ لَكِ الرِّيحُ
يُرَتِّلُ فَوْقَهَا رُوحُ
غَرِيبُ اللَّحْنِ مَجْرُوحُ رَآكِ فَقَالَ : لَبَّيْكِ
هَبِينِى سِحْرَ عَيْنَيْكِ
لِأُلْقِىَ بَيْنَ كَفَّيْكِ
صَلَاةَ العِطْرِ لِلْأَيْكِ ...
فَزَفَّ الحُبُّ أَنْوَارَا وَأَنْغَـامًا لِمُضْنَاكِ
أَنَا الرُّوحُ الَّذِى طَارَا لِيُبْعَثَ حِينَ يَلْقَاكِ
أَنَا اللَّيْلُ ، أَنَا الرِّيحُ !
أَنَا اللَّحْنُ ، أَنَا الرُّوحُ !
فَهَاتِى خَمْـرَ نَجْوَاكِ

محمود حسن اسماعيل

رد على مقال :

الرحلات العربيـــة

للأستاذ محمد محمود رضوان

قرأت المقال الممتع الطريف الذي كتبه الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن بالعدد ٤١٠ من الرسالة وأتى فيه على تاريخ الرحلات العربية . ولعل الأستاذ يفسح لنا صدره فنأخذ عليه بعض مآخذ لا تغض من مقاله القيم

حاول الأستاذ أن يستقصي في مقاله جميع أنواع الرحلات التي نعرفها للعرب فوُفق كثيراً حيث ذكر الرحلات الاضطرارية كرحلة القحطانيين ، والتجارية كرحلة الشتاء والصيف لقريش ، والدينية كهجرة المسلمين إلى الحبشة وإلى المدينة ، والسياسية كرحلات المسلمين إلى المدن المفتوحة ، ورحلات الاستجداء كرحلة جرير وأبي نواس ، وأخيراً (الرحلات لذاتها ولم تبدأ إلا في القرن الرابع الهجري) كرحلة المسعودي والبيروني والقدسي وابن جبير والمغربي وياقوت الخ

وعجبي للأستاذ محمد عبد الغني أن ينسى ضرباً من الرحلات هو في نظري أهم ضروبها ، وأجدرها بالدراسة لأنه أجلها أثراً وأجلها خطراً في العلم والأدب ، وأعني به (الرحلة في طلب العلم)

وأعجب من هـذا أن ينسى الأستاذ الكاتب نفسه وهو قد رحل في طلب العلم . وليته قرأ ابن خلدون يقول : (إن الرحلة في طلب العلم ولقاء الشيخة مزيد كمال في التعلم)

ولقد عرف العرب لرحلات العلم قيمتها فكانوا ينتقلون في مشارق الأرض ومغاربها للقاء الشيوخ ، ويرحلون إلى البادية ليُقَضْرَى مقاولهم بالفصاحة ، ويتحملون في سبيل العلم من بعد الشقة وقلة الزاد ووحشة الطريق ورهق السفر ما الله به عليم

ذكر ابن خلكان أن الخطيب أبا زكريا التبريزي شارح ديوان الحماسة ، والقصائد العشر (٤٢١ — ٥٠٢) وقعت له نسخةٌ من كتاب التهذيب للأزهري في عدة مجلدات يُعوِزُ بعضَ مسائلها شيء من التحرير ، فسأل عمن يقوم بذلك فدلوه على أبي العلاء ... فماذا يصنع الرجل والشقة بعيدة وهو فقير لا يملك أجرة دابة تحمله ؟ لقد وضع الكتاب في حقيبة ، وحملها على ظهره وسافر من تبريز إلى المعرة مشياً على قدميه حتى بلغها وقد قطع نحو سبعمائة ميل ثم أخرج الكتاب فوجد العرق قد نفذ إليه فأفسد منه ما أفسد

والأندلس العربية ، لقد كانت كعبة القاصدين من أهل المشرق كما كان المشرق نجعة الرائدين من أهلها طالبين للعلم ، والعلامة المقري صاحب كتاب (نفح الطيب) يسهب في كتابه إسهاباً ، ويُطنب إطناباً ، حين يتعرض لذكر الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق يطلبون العلم وينافسون فيه المشارقة

وكتب التراجم كوفيات الأعيان ومعجم الأدباء وطبقات الأطباء وتاريخ الحكماء تؤرخ لألوف من العرب رحلوا يطلبون العلم (ولو في الصين) ، لا يعوِّقهم الإملاق عن شهود محافله ، ولا تحلِّئهم المشاق عن ورود مناهله

ولقد كتبتُ فصلاً مسهباً عن (رحلات العرب في طلب العلم) من فصول كتاب أشتغلُ جاداً بوضعه عن (المسلمون والتربية) عسى أن يكون الفراغ منه قريباً

وللأستاذ شرف الدين خطاب المفتش بوزارة المعارف فصل موجز في هذا الموضوع في كتابه (التربية في العصور الوسطى) الذي يدرس في دار العلوم ، فراجعه إن شئت

* * *

نعود لناحية أخرى نعتقد أن الأستاذ عبد الغني تجنى فيها على شعراء العربية ، وذلك حيث قال عنهم : « ولـكن واحداً منهم لم يفكر في تدوين رحلة أو تسجيل مشاهدة » ، وحيث قال : « وإذا كانت هذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب إلا أنها لم تكن منتجة بالنسبة للرحلات والأسفار ، فهي عقيمٌ كل العقم من هذه الناحية »

فلقد عرفنا لكثير من شعراء العربية الرحالين شعراً رائعاً يصفون فيه رحلاتهم ليس هـذا موضع الإفاضة فيه ، ولـكني أمثل بالبحتري وقصيدته في وصف إيوان كسرى التي ضمنها وصف رحلته ومشاهداته ، وأمثل بأبي الطيب المتنبي الذي تقلب ما بين دمشق وحلب ولبنان وفارس ومصر وشهد غزوات سيف الدولة فضمَّن شعره الكثير مما شاهده ، فوصف بحيرة طبرية وشعب بوان وحمص وتُفاح لُبنان ، ووصف نساء الروم في وقمة نهر (أرسَنَاس) ، وليس في إغفاله وصف آثار مصر ونيلها دليل على قصوره أو تقصيره فإن لذلك أسباباً لا نتعرض

لها فى هذه العُجالة ، بل لقد كان لرحلته إلى مصر آثار كثيرة فى شعره ... أقلها أنه هجا المصريين

وابن هانىء الذى قال عنه الأستاذ (يخرج من الأندلس إلى شمال أفريقية فيمدح الخليفة المعز ويرحل معه إلى مصر ويصف هـذه الرحلة فى بعض شعره) لقد ظلمه وتجنى عليه ، فالرجل لم يرحل مع المعز إلى مصر ولـكنه رحل من الأندلس إلى عدوة المغرب فلقى جوهراً القائد ، ثم علم به المعز فقربه وأجرى عليـه العطايا ؛ ثم رحل المعز إلى مصر فشيعه ابن هانىء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله ، ثم مات قبل أن يلحق بالمعز . ولما بلغه خبر موته أسف وقال : « كنا نريد أن نفاخر به شعراء الشرق فلم يقدر لنا ذلك »

ومع هذا فقد كان لرحلة ابن هانئ إلى المغرب أثرها فى شعره ، وقد وصف أسطول المعز وصفاً رائعاً بقصيدته المشهورة :

أما والجوارى المنشآت التى سَرَتْ
لقـد ظاهرتهـا عدةٌ وعـديدُ

* * *

وبعد فنى مقال الأستاذ محمد عبد الغنى بعض هنات فى التعبير واللغة نرى لزاماً علينا أن نشير إليها ، ولا سيما أنه من المولعين بتعقب أمثالها

فهو أولاً ، يقول عن الرحالين من قريش إلى اليمن والشام : (وسنسميهم رحالين تجاوزاً) ، مع أن الله تعالى يقول : (رحلة الشتاء والصيف) فهل سماهم القرآن رحالين تجاوزاً ؟

وهو ثانياً يروى بيت الأعشى هكذا :

وشاهدنا الُجلّ واليـاسميـــن والمسمعات بأقصابهـا

وأظن الرواية الصحيحة للبيت (بقصابها) لا (بأقصابها) ، وقد جاء فى الأساس : « ونفخ فى القصّابة : فى المزمار ، ورأيت القُصّاب ينفخون فى القُصّاب : أى الزمارين ينفخون فى المزامير ، جمع قاصب الخ » . أما الأقصاب فهى الأمعاء

وقد روى البيت كما ذكرت العالم التونسى الجليل الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالـكى فى تونس ، فى بحثه النفيس (الترداف فى اللغة العربية) المنشور بالجزء الرابع من مجلة المجمع اللغوى

وهو ثالثاً ... استعمل فى مقاله (ساهم) بمعنى (شارك) أو (كان له نصيب) ، والمساهمة هى المقارعة من (القرعة) كما فى قوله تعالى فى قصة يونس (فساهم فـكان من المدحضين)[١] وكان يصيب لو قال : (أسهم) أو (تَسَهّم)

وقد نبه على هذا الخطأ أستاذنا الجليل العوامرى بك[٢] . ولا حجة للدكتور زكي مبارك فى رده لأنه يستشهد بكلام المتأخرين ، ويرضى بأن يخطئ مع الشريف الرضى[٣]

وهو رابعاً يقول : (ويعد كتابه الثانى أوفى مرجع عن بلاد الهند ، وأملأ كتب الأسفار تعريفاً بها)

والشذوذ كل الشذوذ فى (أملأ) ، لأن أفعل التفضيل — كفعل التعجب — لا يصاغ من الخماسى (امتلأ) على وزن أفعل . ولا يُقال إنه مصوغ من مَلأ ، لأنه كان عليه حينئذ أن يقول : « و يُعَد المؤلف أملأ المؤلفين لكتابه تعريفاً بالأسفار » لا أن يسند الملء للكتاب

نعم ، إن الأشمونى فى شرحه على الألفية وابن هشام فى أوضح المسالك ذكرا من الشذوذ قولهم : « ما أملأه للقربة » مصوغاً من امتلأ ؛ وهذا وهمٌ منهما لأنه لا شذوذ حينئذ فى العبارة ، إذ هو مصوغ من ملأ ... والمعنى جيد

وقد اعتذر لهما الصبان بأن الشذوذ يكون حين يقال : « ما أملأ القربة » ، كعبارة الأستاذ عبد الغنى

فهل يقوم هذا اعتذاراً له ؟

وهو خامساً يقول : « وإذا كانت هـذه الرحلات الفردية وكثير غيرها قد أضافت بعض الثروة إلى الأدب ، إلا أنها لم تكن منتجة ... الخ »

وأنا لا أعلق على هذه العبارة إلا بأن أتحدّى الأستاذ بأن يُعربها ويبين لنا جواب إذاً ويخرّج هذا الاستثناء

ومنى إليه التحية

(حدائق القبة) محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة النموذجية

---

(١) راجع تفسير البيضاوى وغريب القرآن للسجستانى ص ٩٨

(٢) ص ٢٢٢ من العدد الرابع من مجلة المجمع

(٣) قال الأستاذ العوامرى مما قال : « وهناك معنى آخر لتساهم ؛ ففى الأساس : « وتساهموا الشىء : تقاسموه » . وجاء الدكتور مبارك فى العدد ٣٧٨ من الرسالة يقول : « ثم عجبت كل العجب من غفلة بعض النقاد حين رأيت الزمخشرى نص عليها فى الأساس فقال : « وتساهموا الشىء : تقاسموه » اهـ . قلت : الخطأ هو ساهم بمعنى اشترك »

من وراء المنظار

فى الترام أيضا ... !

لعل هـذه ثالث مرة أكتب فيها عما وقع عليه منظارى فى الترام مما يصور أخلاق بعض الناس فى مجتمعنا الواسع ، والترام لا تنس أيها القارىء مجتمع له خطره . وإن عجبت لهذا التعبير فأخطر ببالك مبلغ ما تمتلئ به طيلة النهار وساعات من الليل تلك المركبة من أنماط الناس مرات كثيرة متتابعة

وما اتخذت موضعاً لى يوماً بين هؤلاء الناس إلا وقع منظارى على ما لا أحب أن يقع عليه . ولو أنى رحت أحدثك كل يوم بما أرى لجئتك كل يوم بالطريف ، بل ولحملتك على أن تستزيدنى إن سكت

وماذا عسى أن أعرض عليك اليوم مما شاهدت والمجال لا يتسع له كله وليس فيه ما أحب أن أدعه ، وما أعرض عليك ما أعرض محبة فى نشر ما يعاب وإنما أشهر بما يعاب بغية القضاء عليه ...

هذان يافعان من أبناء مدارسنا يكلم كلاهما صاحبه وكأنه يتعمد أن يسمع الراكبين جميعاً ، وليت العيب قاصراً على ما يحدث كلاهما من ضجة مكروهة ، بل إنهما ليتحدثان فى غير تحفظ عن أمور أحسب أن الحديث فيها مما يوجب الخجل لو جرى بينهما على انفراد ، دع عنك ما ينعت به كل منهما صاحبه من الألفاظ التى نستفظع صدورها من السوقة إذا علت بينهم جلبة المزاح ، أو إذا استحر بينهم بالأيدى والألسن القتال ... وما أرى على وجه من هذين الوجهين أى شعور بأنهما تقع عليهما أعين الناس

ودع هـذين إلى ذلك الذى يتحدث إلى جيرانه عن إحدى القضايا فيذكر أسماء معروفة ويعقب على كل اسم بما يشاء له أدبه من قاذع السباب فى غير تحرج ولا مبالاة

ثم ما فصيلة هـذا (الإنسان) الذى جعل يحملق فى فتاة أمامه من بنات المدارس لا يكاد يتحول نظره عنها وإنما يتحرك بصره إذ يتحرك صاعداً من طرفى قدميها إلى قمة رأسها فيستقر بعض الوقت فى مواضع معينة ، ثم يهبط إلى أسفل من جديد متوقفاً عنـد مواضع الاستقرار حتى يعود إلى حيث بدأ ليصعد من جديد ، وهكذا دواليك دون أن يفطن هذا الأفندى إلى ما يكاد يزهق روحها من ضيق وارتباك

وما هذا الذى راح يقضم اللب ويلقى بقشره فى سرعة فيقع على ملابس من هم حوله فى غير وعى منه كأنما يفعل ذلك فى حجرته الخاصة ؛ فإذا فرغ ما فى يده دسها فى جيب سرواله فعادت ممتلئة، ودار فكاه فألقيا بالقشر تباعاً كأنهما تلك الآلة التى تفصل القمح حبه عن تبنه فى الأجران

وماذا تريد ذلك « البارد » الذى يطيل النظر إلى ملابس من هم أمامه ، كأنما يتفرج على معروضات الأزياء فى إحدى « الفترينات » . يفحص ببصره أربطة الرقبة والقمصان والحلل ولا يتحول بعينيه عنك مهما أبديت له بنظراتك من دهش أو استنكار ! !

على أن هؤلاء جميعاً أهون شراً وأقل خطورة من ذلك الذى جلس فى طرف المقعد إلى اليسار وأخذ يبصق كل بضع ثوان بصقة لا يبالى على أنف من ولا على عين من وقع رشاشها المذب الذى ينثره الهواء على من خلفه ، كأنما يتحتم على راكب الترام أن يلبس قناعاً من الأقنعة الواقية ...

ومثل ذلك الظريف هذا الذى يتحرك لينزل فيطأ بنعله وجه نعلك ، أو يفزع بيده طربوشك فما تدرى إلا وقد طار عن رأسك ، أو يتحاشى الانزلاق إذ يقرب من السلم فتستقر لطمة منه على عينيك أو خدك أو أنفك بحيث لو سددها إليك من يتعمد ذلك — لا قدر الله — ما جاءت محكمة كما تجيء من يد ذلك الذى يمر بك أثناء نزوله من الترام ، وإنه ليقع منه ذلك فلا يلتفت إليك بكلمة اعتذار أو بنظرة أسف ! وسبحان الذى سوى الجبلات

ودع عنك غير من ذكرت (المتشعبطين) على السلم والمتحاربين مع « الكمسارى » من أجل مليم مشكوك فى أمره ، أو على الأكثر من أجل قرش زائف ، دع عنك هؤلاء فالأمر محصور بينهم وبين « الكمسارى » إلا إذا نفخ هذا فى زمارته فأوقف الترام وأخذ الجميع بذنب صفيق أو صفيقين

أقسم لك أن ذلك كله حدث فى الترام فى وقت معاً ، فإن لم تصدقنى بعد هذا القسم فليس لدى شك فى أنك لم تركب هذه المركبة

الخفيف

تدخل الدولة في الاصلاح

واجب لا مناص منه

للأستاذ على توفيق حجاج

تناول الدكتور زكى مبارك فى مقاله الطويل : « الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع » المنشور بعدد « الرسالة » ٤٠٨ مسائل متنوعة الألوان مختلفة المذاهب ، وتصدى فيها للرد على بعض الكتاب ؛ وقد لفت نظرى ذلك الخلط القريب فى وجهات النظر ، وأدهشنى أن أرى الدكتور زكى يدعو إلى الفوضى فى الوقت الذى فيه يدعو إلى الإصلاح ؛ وقد استخلصت من مقاله الطويل آراءه الآتية بنصها ، حيث يقول :

أولاً : « وأنا أرى أن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع وأرى من الواجب أن توجه الجهود الصادقة إلى إصلاح الفرد ، لأن المجتمع يتكون من الأفراد »

ثانياً : « المنعطون هم الذين ينتظرون من الحكومة كل شىء ، فهى عندهم مسئولة عن صيانة المرافق ، وتدبير جميع المنافع ، وإبعاد جميع المخاطر ، وإصلاح جميع الأحوال »

ثالثاً : « عيب الفرد هو اعتماده على المجتمع واحتماؤه بالقوانين فقد شلت من الإنسان مواهب كثيرة منذ اليوم الذى اطمأن فيه إلى أنه له عصبية تنصره وحكومة تحميه ... وأنا أدعو إلى اعتصام الفرد بنفسه ، قبل اعتصامه بعدالة الحكومة وحصانة المجتمع »

هذه هى خلاصة ما يقرره الدكتور زكى مبارك فى مقاله

أنا أرى :

وأنا أرى أننا جميعاً متفقون مع الدكتور فى أن « الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع » ؛ ولكن ما هى تلك الجهود الصادقة التى يجب أن توجه إلى إصلاح الفرد ؟ ... أليست هى المشروعات الاقتصادية والاجتماعية التى تقوم الحكومة « الدولة » بتنفيذها لرفع مستوى حياة الشعب ومعيشته ؟ خذ لذلك مثلاً قيام الحكومة بإصلاح الأراضى البور — فى شمال الدلتا وغيرها — وتوزيعها على صغار الملاك رغبة فى التوسع فى الملكيات الصغيرة والنهوض بمستوى صغار الزراع والعمال الزراعيين ؛ وقد حدثتنا الإحصائيات الرسمية للدولة المصرية فى سنة ١٩٣٨ أن عدد ملاك الأراضى الزراعية فى المملكة المصرية هو ٢٫٤٤٤٫١٨١ مالكا ، منهم ١٫٧١٦٫٧٠٧ يملك فداناً فأقل ، و ٥٩٧٫٨٠٦ يملك من فدان إلى خمسة أفدنة ، ونسبة هؤلاء الملاك إلى مجموع الملاك فى الدولة هو ٩٣٫٥٪ ، ومتوسط ما يملكه الواحد منهم ٢٠ قيراطاً فقط ، وأن الملاك الذين يملكون خمسة أفدنة فأكثر هم ١٥٩٫٦٦٧ ، ونسبتهم إلى عدد الملاك ٦٫٥٪ ، فهل يعقل يا دكتور أن مالكا لفدان واحد ، يملكه أن يقوم بتربية أبنائه وخلق جيل جديد يتفق مع نهضة البلاد ؟ هذا هو شأن الملاك ، فما بالك بمن لا يملكون شيئاً ! ؟

لقد اتخذت فرنسا وغيرها من دول أوربا إجراءات مختلفة للانماش الاقتصادى ، خصوصاً ما كان متصلاً منها بالزراع وصغار الملاك ، والعمال الزراعيين ، والطبقات الفقيرة . ومما يذكر أن حكومة فرنسا وضعت فى سنة ١٩٣٨ نظاماً أطلقت عليه اسم : Domaine retraite الإقطاعيات الزراعية المعاش ، وأصدرت به قانون ٢٤ مايو سنة ١٩٣٨ (١) ، واستفاد من هذا النظام جميع العمال الزراعيين ، بل جميع المشتغلين بالزراعة

إن حصر الإجراءات والوسائل التى اتخذتها الدول للعناية برفع مستوى الشعوب من الناحية الاقتصادية والاجتماعية يتطلب مجلات ضخمة ، ولا يمكن لمجلة قيمة « كالرسالة » ، أن تشغل وقت قرائها بسرد طويل — قد يمله بعضهم — ولكنى على سبيل الإشارة ، قد ضربت هذين المثالين :

الحكومات هى أم الشعب الذى يجب أن ترعاه ، بل المسئولة عن توجيهه ، وتوجيه أفراده ، وصيانة المرافق ، وتدبير جميع المنافع ، وإبعاد جميع المخاطر ، وإصلاح جميع « الأحوال »

والعيب كل العيب يا دكتور على الفرد الذى لا يعتمد على احتمائه بقوانين الدولة التى تصدرها لتنظيم العلاقات المختلفة بين الأفراد والجماعات ، بين أصحاب الأعمال والعمال ، بين الملاك

(١) راجع :
Annuaire International de Legislation Agricole, 1938, Institut International d'agriculture, Rome,
Les Services Sociaux, en 1933 Bureau International du Travail, 1936 Génève.

والمستأجرين ، بين التاجر وعملائه ، بين الموظف ووظيفته إلى آخره

بل « لقد شلت مواهب كثيرة » بسبب عدم تشجيع الدولة لها ، وتقدمت وارتقت مواهب المفكرين والمخترعين الذين أولتهم الدولة عنايتها ، وشجعتهم بمختلف الوسائل ، كالتعيين في الوظائف العامة ، ومنح المكافآت ، والامتيازات Concession وما إلى ذلك

والواقع أن الأعمال التي اطمأن عمالها إلى مستقبلهم ، قد ارتقت وتقدمت تقدماً باهراً ، بسبب رعاية الدولة لعمالها ووضعها تشريعاً روعي فيه مصلحة الطرفين ، أي مصلحة العامل وأصحاب الأعمال ، وضماناً للعدالة التي يجب أن تحتل المكان الأول في المعاملة

أما « احياء الفرد بنفسه » وإن النفس لأمارة بالسوء ، فهو الفوضى بعينها ، ولو كان الأمر كذلك لما أرسل الله مبشراً ونذيراً ، وسنت الشرائع السماوية ، ولما فكر العلماء في وضع القوانين واللوائح التي تحد من طمع الإنسان وجشعه ، وحب الذات ، « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى »

ولذلك أرجو أن يرجع الدكتور عن رأيه وأن يقرر معي ، كما قررا العقل والناموس الطبيعي . أن يعتمد الفرد على « الدولة » ، وأن يوجه عنايته دائماً للتعاون معها في سبيل الإصلاح خصوصاً بعد أن أصبح مبدأ تدخل الدولة من المبادئ المحتومة التطبيق ، ما دام قائماً على أساس التضامن الاجتماعي Solidarité Sociale والعدالة في توزيع الضرائب

تدخل الدولة

إن تدخل الدولة في أحوال المجتمع والأفراد أصبح أمراً لازماً لا مناص منه منذ زمن بعيد ، ولقد اضطرت الدول لفرض مختلف أنواع الضرائب كي تتمكن من القيام بأعباء مسؤولية التدخل وتكاليفه ، وقد قسم علماء الاقتصاد والقانون هذا التدخل إلى الأقسام الآتية :

أولاً — التدخل الوطني : « L'interventionnisme National »[1] وهو تدخل الدولة في التجارة الخارجية أو الدولية حماية للانتاج الأهلي إذ لا بد للدولة من العمل على تنظيم القوى الانتاجية للجماعة ، وتنشيط الانتاج وتشجيعه في مختلف نواحيه حتى يتم بذلك تكوين المجتمع أو الأمة ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق الحماية الجمركية مثلاً للواردات . وقد تدخلت حكومة مصر في هذه الناحية عند ما رغبت في رفع مستوى الصناعات المحلية وتشجيعها ، والاستغناء جهد الطاقة عن الواردات الأجنبية . فقررت فرض رسوم جمركية مرتفعة على الواردات من المنسوجات الأجنبية وغيرها خصوصاً وأن الصناعات المصرية كانت في دور النشوء ، ولا يمكنها أن تتحمل المنافسة الأجنبية ، ولا بد أن يتناول التدخل الوطني الحماية الجمركية وجميع نواحي الصناعة والزراعة والتجارة

ثانياً — التدخل الاجتماعي : « L'interventionnisme Social »[1] ، الغرض منه تدخل الدولة لتحسين حالة العمال ورفع مستوى معيشتهم ، خصوصاً من ناحية محاربة نظام المنافسة الحرة الذي يدفع بالمنتجين إلى محاولة العمل على تخفيض نفقة الانتاج بتخفيض أجور العمال واستعمال الأيدي الرخيصة ، واستخدام النساء والأطفال

ولما كان مركز العامل دائماً يكون ضعيفاً أمام صاحب العمل ، والقوى المتنازعة غير متكافئة ، فلا بد من تدخل الدولة لحماية الضعيف ، ولا بد من سن تشريع صناعي ، وتحديد ساعات العمل ، ووضع نظام الأجور والإعانات والمكافآت في جميع الأحوال سواء في أحوال المرض والشيخوخة والبطالة ، وتعميم نظام التأمين الاجتماعي

وقد تدخلت الحكومات على اختلاف ألوانها : دكتاتورية كانت أو ديمقراطية في جميع نواحي النشاط

وشرعت مصر في هذه النهضة فعمدت إلى سن تشريع إصابات « العمل » ، وقانون عقد العمل ، وتشغيل الأحداث ، والتأمين الاجتماعي ، والتأمين ضد البطالة وغير ذلك

وفيما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي لا بد من العمل على إفساح المجال للعوامل الأخلاقية والدينية في الجماعة ، بمعنى أنه لا بد من إخضاع الفرد لقانون أخلاق وسلطة عليا هي سلطة رئيس العائلة في المنزل ، وصاحب العمل في المصنع ، والدولة في مختلف الشؤون[2]

---

(١) راجع : Von list, Système National d'Economie Politique, 1841

(١) راجع : Simonde de Sismondi, Nauveaux prinècye, d'Ecome, Polit 1819

(٢) راجع : Le Play : La Rèforme Social, 1846

ثالثاً — التدخل الاقتصادى :

« Interventionnisme Economique »

وهو تدخل الدولة فى الإنتاج ، بأن تحل مكان الفرد فى بعض فروع الإنتاج وبذا ينشأ الاحتكار العام ، فتتولى الدولة أو البلديات أعمال السكك الحديدية والبريد والمناجم ، وذلك دون تغيير فى نظام الجماعة الحاضرة ، فتنشأ بجانب الملكية الفردية ملكية الدولة لبعض الفروع[1]

وقد تطور تدخل الدولة الاقتصادى ، فأصبحت الدولة تعتبر جميع نواحيها الاقتصادية وحدة اقتصادية مكونة من مجموع قوى إنتاجية تتعاون وتتضافر وتتضامن فيما بينها بحيث يستفيد الشعب من هذه القوى ، ويحصل على كل ما يكون فى استطاعته إنتاجه بنفسه لنفسه ، ويقل اعتماده على غيره ، أو بمعنى إيجاد سيطرة اقتصادية ، مع الاعتراف بوجود روابط اقتصادية دولية ، بشرط حماية الإنتاج المحلى الأهلى . وهـذا التدخل يسمى أيضاً بنظام الاقتصاد الدار Economie National Dirigé ؛ وقد جرت عليه تقريباً جميع الحكومات على اختلافها ، ويرجع تاريخ تطبيقه الحديث فى مصر إلى عهد محمد على باشا الكبير ، ومازالت حكومة مصر تتخذ إجراءات من وقت لآخر فى سبيل حماية الإنتاج المحلى ، وبحث ودراسة وسائل تصريفه

وقد ثبت أن تدخل الدولة غرضه الأول تنظيم جميع المرافق وإيجاد تناسق فى جميع الدول[2]

(١) راجع الاقتصاد السياسى : الدكتور عبد الحكيم الرفاعى . الاقتصاد السياسى : الدكتور زكى عبد المال .

(٢) راجع : Bodin : Economie dirigée, economie Scientifique, 1933., Siegfried : L'Economie dirigée, 1934.

وسائل تدخل الدولة

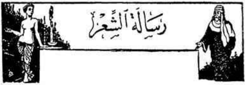
تتدخل الدولة لحماية الأفراد بسن القوانين — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — ويكون فيما يتعلق بتدخلها فى الإنتاج ، أولاً : بصفتها مشرعاً لتنظيم وتشجيع المنشآت الخاصة ، ويكون تدخلاً غير مباشر . ثانياً : بصفتها صاحب عمل ويكون تدخلاً مباشراً . ويكون ذلك بوضع قواعد عامة وشروط معينة لا بد للمنشآت من إتباعها

هذه يا دكتور بعض المبادئ العامة لتدخل الدولة مع إشارة موجزة كل الإيجاز إلى بعض وسائل تطبيق التدخل . وقد شعرت بلادنا وحكومتها نفسها وبرلماننا بأننا أمة فى حاجة ملحة للاصلاح ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق تدخل الحكومة . وإليك نص ما جاء فى الصفحة الثالثة من تقرير لجنة المالية بمجلس النواب عن سنة ١٩٤٠ — سنة ١٩٤١

« ولن تتحقق العدالة الاجتماعية ويرتفع مستوى الحياة العامة لطائفة كبيرة من أبناء هذا الوطن ، تئن تحت أثقال الفقر والمرض والجهل ، إلا باتجاه الجهود متكاتفة ، إلى علاج هذه الأدواء الثلاثة ، والعمل على خلق طبقة من صغار الملاك ، تحيا حياة إنسانية فى المستوى الأدنى الذى تراه البلدان المتمدينة أقل ما يجب أن يناله واحد من أبنائها »

لا بد وأن يكون الدكتور الفاضل زكى مبارك قد رجع عن رأيه بعد هذا البيان الموجز ، وأن يقرر أنه لا بد من اعتماد الفرد على الدولة واحتمائه بقوانينها

على توفيق صباح



لو تكلم الفلاح ...

للأستاذ محمود الخفيف

شَبابِي جَنَتْ عَلَيْها الشِّفاه ... وَلَحْنُها ما هَزَّ قَوْمِي بُكاه
بَكَيْتُ لا سَلْوَةَ غَيْرَ البُكا ... حَتَّى البُكا قَدْ ماتَ حَوْلِي صَداه

***

نَشأْتُ فِي الشَّوْكِ سَقِيمَ البَدَنْ ... وَالشَّوْكُ لِي حَتَّى ارْتِدائِي الكَفَنْ
يا وَيْلَتا ماذا جَنَتْهُ يَدِي ... يَدِي بَنَتْ فَوْقَ التُّرابِ الحَياه

***

يا لَيْتَ فَأْسِي لَمْ يُحَمِّلْها يَدِي ... أَوْ لَيْتَنِي يا قَوْمُ لَمْ أُولَدِ
أَشْقَى لِيَهْنَى بِشَقائِي الغِنَى ... وَالجاهُ، بانٍ، كَمْ رَمَتْنِي يَداه

***

أَعِيشُ مِنْ تَجْماتِهِ أَوْضَعا ... يا لَيْتَ لِي مِنْ فِكْرِهِ مَوْضِعا
لِلثَّوْرِ ضِعْفُ إِنْ ذَكَرْتُ الَّذِي ... أَعْطاهُ أَجْرًا ساءَ شَرْعُ الطُّغاه!

***

حِمارُهُ فِي سُرُجٍ مِنْ حَرِيرْ ... وَبَيْنَنا فِي الرِّزْقِ فَرْقٌ كَبِيرْ
وَكَلْبُهُ، لَوْ أَنَّ بَعْضَ الَّذِي ... يَحْظَى بِهِ حَظِّي جَهِلْتُ الشَّكاه

***

ضَنِيتُ حَتَّى ما عَرَفْتُ الضَّنَى ... وَالمَوْتُ طِبِّي بَعْدَ طُولِ العَنا
يا قَوْمُ إِنِّي جِئْتُ مِنْ آدَمٍ ... ما لِي بِهذا الكَوْنِ جَدٌّ سِواه

***

شَقِيتُ حَتَّى قَدْ جَهِلْتُ الشَّقاءْ ... وَبَعْضُ اليَأْسِ لِقَلْبِي الرَّجاءْ
كَمْ لُذْتُ بِالآمالِ حَتَّى غَدَتْ ... بَعْضَ عَذابِي اليَوْمَ وَاحَسْرَتاه!

***

أَلِفْتُ حَتَّى قَدْ رَثَى لِي الأَلَمْ ... وَأَشْفَقَ السُّقْمُ وَحارَ العَدَمْ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي غَيْرَ طَيْفِ البِلَى ... عَيْشِي وَما لِي حِيلَةٌ فِي سِواه

***

لا هُوَ يُحْيِينِي وَلا قاتِلِي ... مَنْ ذا يُزِيحُ العِبْءَ عَنْ كاهِلِي؟
مِنْ مَوْلِدِ الشَّمْسِ إِلَى مَوْتِها ... كَدْحٌ وَما غَيْرُ الرَّدَى مُنْتَهاه

***

وَفِي لَظَى الشَّمْسِ وَقُرِّ الشِّتاءْ ... ما كانَ لِي غَيْرَ قَمِيصِي وِقاءْ
وَقُوتِيَ الخُبْزُ، يَمِيناً لَئِنْ ... يُلْقَ لِكَلْبِ مُتْرَفٍ لازْدَراه

***

لِغَيْرِيَ النِّيلُ جَرَى كَوْثَرا ... وَلِي جَرَى مِنْ عِيشَتِي أَكْدَرا
مِنْ طِينِهِ الذَّائِبِ أَرْوِي الظَّما ... وَقَدْ رَوَى ماءَ جَبِينِي ثَراه!

***

آوِي إِلَى كُوخِي ذَلِيلَ الخُطَى ... وَلَيْسَ فِي كُوخِيَ غَيْرُ الأَسَى
هٰذا بَراهُ السُّقْمُ حَتَّى بَدا ... طَيْفاً وَذا داءُ الكُلَى ما دَهاه

***

وَلَيْسَ لِي وَيْلاهُ مِنْ راحِمٍ ... وَهَلْ أُرَجِّي البِرَّ مِنْ ظالِمِي؟
يَنْظُرُ لِي إِنْ مَرَّ بِي نَظْرَةً ... كَأَنَّنِي فِي الحَقْلِ بَعْضُ الشِّياه!

***

يا بانِيًا هٰذا الثَّراءَ العَمَمْ ... بَنَيْتَ بِالأَشْلاءِ هٰذا الهَرَمْ
أَقُولُ إِمَّا بِتُّ فِي مَضْجَعِي ... طاوِي الحَشا: تَبَّتْ يَدا مَنْ بَناه

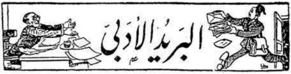
***

يا سامِرًا أَغْراهُ حُلْوُ السَّمَرْ ... يا لاعِبًا بِالمالِ حَتَّى السَّحَرْ
يا والِغًا فِي الكَأْسِ هٰذا دَمِي،
هَلَّا ذَكَرْتَ الكَأْسَ كَيْفَ احْتَواه

***

ما قَلَّ مِنْ هٰذا الَّذِي تُتْلِفُ ... يُسْعِدُنِي إِنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ
حَرَمْتَنِي ما فَرَضَ اللهُ لِي ... إِصْلَ لَظاهُ يَوْمَ تُكْوَى الجِباه

الخفيف



السنوسيون والمذهب المالكي

كان لي حظ الاطلاع على ما كتب الأستاذان جعفر والميساوي عن السنوسيين ، ويظهر أن الأستاذ جعفر قد استند في تقديره بُعد السنوسيين عن المالكية بما قد حصل من ثورة بعض من حسبوا أنهم علماء على السنوسيين . فقد قرأت في مطالعاتي أخيراً في كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للمرحوم الأستاذ الإمام الطبعة الثانية في (صفحة ١١٢) تحت عنوان « الإسلام اليوم ، أو الاحتجاج بالمسلمين على الإسلام » ما يلي : « ... لكن أليس من العلماء المسلمين اليوم أعداء للعلوم العقلية ... ؟ ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب (الجغبوب) كتب كتاباً في أحوال الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول المالكية ، وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة ، وقد يرى ما يخالف رأى مجتهد أو مجتهدين ؛ فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية رحمه الله تعالى ، وكان المقدم في علماء الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه ، لأنه خرق حرمة الدين ، واتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين ... وإنما الذي نجى السنوسي من الطعنة ونجى الشيخ من سوء المغبة وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل أن يلاقيه الأستاذ المالكي . » اهـ

وأظن أن في كلام الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ما يحدد قرب السنوسيين لا بعدهم عن الإسلام

محمد فخري مهنا

الخطط النازية في الحرب

إن الخطط التي اعتمدتها النازية في هذه الحرب قد عدلت كثيراً من الخطط الحربية القديمة ، حتى أصبح من ذكريات الماضي الرأي القائل بأن على المدفعية أن تمهد السبيل للمشاة ، وعلى قوافل المؤن والذخر أن ترافق الجيش

فبناء على خطة الألمان الجديدة يجب على قاذفات القنابل أن تبتدئ أولاً بضرب الأهداف الحربية في بلاد العدو بدلاً من المدفعية البعيدة المرمى التي كانت تقوم بهذه المهمة في الحرب الماضية . وبعد أن تلقى هذه الطائرات الجبارة حمولها من القذائف الكبيرة ، تمطر برصاص مدافعها الرشاشة جنود العدو ، وتتلوها أسراب من الطائرات الخفيفة تحمل قذائف صغيرة وقنابل محرقة وهي تمثل دور الفرسان قديماً ؛ ثم يبتدئ هجوم الدبابات الضخمة من ذوات الستين طناً ، وتسير إلى جانبها الفرق الآلية ، ولا يتقدم المشاة إلا بعد تمهيد الطريق وتنظيف الساحة من العدو

ولكل فئة من رجال الهوابط مهمة : فمهمة الفئة التي تتألف من خمس طائرات أن تهبط في مكان معين ، حيث تنتظرها عصابة من الطابور الخامس ؛ والتي تتألف من أربع طائرات أن تهبط لنسف الجسور أو لتخريب السكك الحديدية ونحو ذلك ؛ والتي تتألف من ثلاث طائرات أن تستولي على مستودعات النفط والمؤن ، والتي تتألف من طائرتين أن تعطل المطارات . أما التي تتألف من طائرة واحدة ، فتحمل مهندسين وخبراء فنيين لدرس الطرقات وطبيعة الأنهار وأمثالها . وكل ذلك يتم بنظام دقيق يشبه نظام الساعة .

جنود الهوابط (الباراشوت)

منذ سنة ١٩٣٥ ابتدأت ألمانيا بتأليف فرق الهوابط وتمرين رجالها على هذه الطريقة الحربية الجديدة التي تقتضي مهارة كبيرة وتمريناً طويلاً ، لأن الخطر الذي يهدد الهابط ليس في الجو بل عند وصوله إلى الأرض ، إذ تنكسر رجله ، أو تصدع على الأقل فلا يعود يستطيع أن يقوم بمهمته ، وكل هابط يحمل بندقية رشاشة خفيفة ودراجة وكمية من الذخيرة ، وعليه أن يحسن جيداً لغة البلاد التي يهبط فيها

كان الألمان في الحرب الماضية ينشئون وراء خطوطهم مثالاً تاماً من خنادق الحلفاء ويمرنون جنودهم على طريقة مهاجمتها ، وهكذا فعلوا في الحرب الحاضرة ، فصنعوا بدلاً من الخنادق نموذجاً من البلدان التي نووا اجتياحها تتراوح مساحته بين أربعة وخمسة أمتار ، وأثبتوا فيه الطرقات والأشجار والبيوت والأقنية والأنهار وغيرها ، فيعكف جنود الهوابط على درسها حتى إذا حانت ساعة العمل قاموا بمهامهم بكل دقة

ولا يبلغ جنود الهوابط أهدافهم بدون مساعدة رجال الطابور

الخامس ، وهذا ما دل عليه اجتياح نروج . وفى هولندا هاجم الهابطون الألمان مطاراً وهم متنكرون بالملابس الهولندية فلم يستطع الهولنديون أن يميزوا بين الأصيل والدخيل . وفى باجيكا سقط هابط ألمانى على سقف بيت فى وسط المدينة واختفى فجأة فاحتشد الناس حول البيت وطوقت الشرطة الحى برمته ، وطفقت تفتش كل المساكن دون أن تعثر على رسول هتلر . ومر ساعتئذ بين الجمهور كاهن يدل مظهره على ورع ، فقال أحدهم مازحاً : « من يدرى ؟ لعل هذا الكاهن هو نفسه ذلك الهابط الألمانى ! »

وما كاد ينتهى من كلامه حتى رأوا عربة مسرعة تقف فجأة فيدخلها الكاهن ثم تتابع سيرها ، فلحق بها رجال الشرطة وقبضوا على الكاهن وهو يصرخ : « إن فى ألمانيا ٢٠ ألف هابط ، وكلهم مستعدون لبذل حياتهم من أجل زعيمنا هتلر ! »

وقبض فى هولندا على هابطين من الألمان كانوا متنكرين بأزياء مختلفة وشارات عسكرية متنوعة من بلجيكية وهولندية وفرنسية وانجليزية

جبل طارق

يقع جبل طارق فى طرف شبه جزيرة متصلة بالأرض الأسبانية ويدعى طرف أوربا ، مساحة منطقته خمسة كيلومترات يعيش فيها نحو ١٨ ألفاً

ينسب اسمه إلى طارق بن زياد الذى فتح أسبانيا عام ٧١١ ، وبقى فى حوزة العرب حتى انتزعه منهم أولونسى دى أركوس عام ١٤٦٢

وفى عام ١٧٠٤ احتلّ البريطانيون جبل طارق وثبتوا فيه ضد هجمات الأسبان وحصارهم الطويل . ولما فتحت قناة السويس ازدادت أهميته الحربية ، لأنه يشرف على المضيق الذى يصل المحيط الأطلسى بالبحر المتوسط

وليس فى منطقة الجبل ماء للشرب فيضطر سكانها إلى جمع ماء المطر وخزنه . وللانجليز خزانات تسع أربعين مليون لتر

ولا خوف على الحامية العسكرية والأهالى من الحملات الجوية ، لأنهم يختبئون فى الملاجىء الصخرية التى حفرت فى الجبل فى أثناء حصاره من ١٧٧٩ إلى ١٧٨٣

قال الأسبانى فلوريدا بلانكا عام ١٧٨٣ : « إن جبل طارق شوكة فى جنب أسبانيا ، ولن تجمع الشعبين الأسبانى والإنجليزى صداقة حقيقية ما لم تنزع هذه الشوكة »

هتلر واليهود

بعث المراسل الأسوجى سلفيج إلى « ذى داى » الأمريكية بالمعلومات التالية :

« إن الألغام المغناطيسية التى علق عليها الألمان الآمال الكبيرة فى بداءة الحرب قد اخترعها فى أواخر الحرب الماضية بعض علماء الكيمياء من يهود ألمانيا وقدموا إلى أركان الحرب الألمانية يومئذ سر اختراعهم فاحتفظت به وضمته إلى الوثائق السرية فى وزارة الحرب الألمانية . ولما سيطر النازيون على ألمانيا كشفوا ذلك السر فى جملة ما كشفوه وابتدأوا قبل نشوب الحرب الحالية يصنعون مقادير كبيرة من تلك الألغام . ولكن مصيرها كان الإخفاق لأن مخترعيها وأمثالهم من اليهود كانوا قد طردوا من ألمانيا ولجأوا إلى انكلترا حيث عكفوا على اختراع الوسائل للوقاية منها

إن النازيين عرفوا ـ ولكن بعد فوات الوقت ـ أن البيض ينقطع بعد قتل الدجاجة ؛ ولكنهم لم يقتلوا الدجاجة بل رموها فى يد العدو . وقد أدركوا خطأهم بعد وقوع الحرب ، وعند ما شعروا بحاجتهم إليها . ولهذا أوفدوا بعض دهاتهم إلى كل الأنحاء الأوربية لاسترضاء رجال العلم والاختصاص من أولئك المطرودين لكى يعودوا إلى ألمانيا ولكنهم أخفقوا . وقد تمكنوا فى البرتغال من إقناع ٢٣٣ طريداً كلهم من العلماء والأطباء والاختصاصيين بعد ما أغروهم بالوعود وأكدوا لهم أن اضطهاد اليهود فى ألمانيا قد بطل ، وأنه فى كل المعامل الألمانية قد ألصقت نشرات تنوه بنبالة العنصر اليهودى وبتحدره من أصل شريف ، وأعدوا لهم مركباً أسبانياً ينقلهم إلى أسوج ومنها إلى ألمانيا ؛ ولكن عمال انكلترا السريين وزعماء الجالية الإسرائيلية فى البورتغال أفسدوا هذه الخطة . وسافر المركب ، إلا أنه اتجه إلى ناحية من نواحى الباسفيكى بدلاً من أن يتجه إلى أسوج !

كان فى معامل كروب قبل أن يستولى هتلر على الحكم نحو عشرين ألف ميكانيكى يهودى ؛ أما اليوم فلا يبلغ عددهم الخمسين ؛ وقد جلب الألمان ثلاثين ألف عامل إيطالى ليحلوا محل أولئك المطرودين . غير أن مناخ ألمانيا الشمالية لم يلائم العمال الإيطاليين فعاد أكثرهم إلى وطنه

إن مختبرات انكلترا الفنية ملأى اليوم برجال الاختصاص

من اليهود المطرودين ؛ والذى أعلمه أن فى مدينة واحدة بانكلترا ١٦٥ شخصاً من يهود النمسا والتشيك وألمانيا وبينهم علماء مشهورون واختصاصيون من الطراز الأول يعرفون جيداً كل أسرار الصناعة الألمانية (المصرى)

ازدهار الفكر وبطش المسيطر

ربما كان من الأسباب التى جعلت بعض الأساتذة ينكرون ازدهار الفكر فى عهد الأمان والاستقرار — أى عهد انتظام أمور الدولة وقوة حكومتها واتساع نطاق تجارتها — أن الحكومات القوية فى تلك العهود كان يخشى بطشها بالفكر ، لكنا إذا رجعنا إلى التاريخ ، وجدنا أن الفكر فى تلك العهود كان يستفحل ويستفرخ وينمو نمو النبات فى المنطقة الخصبة الحارة ، فلم يؤثر فيه ذلك البطش مهما اشتد بأس الحكومات ، فكان نموه أشبه بنمو نبات البردى فى مناقع النيل قرب منبعه ، فإذا قطع بعضه ، عوضت سرعة النمو وغزارته أكثر مما قطع . على أن تلك الحكومات القوية ، كثيراً ما كانت ترعى المفكرين برعايتها ، فإذا عادت مفكراً كانت المعاداة بسبب وشاية شخصية أو عداوة سياسية ، أو تظاهر بإرضاء العامة أمام الجمهور المعادى له

وهذه كانت حالات مفردة يعوض نمو الفكر الغزير فى تلك العهود عما يكون فيها من فقد . على أن كثيراً من الحكام ذوى البأس والشدة كانوا يفاخر بعضهم بعضاً برعاية العلماء والمفكرين والفلاسفة ، حتى صارت تلك الرعاية عدوى أشبه بعدوى أزياء الثياب ، وقلما يستطيع أحد أن يتخلف عن الزى الشائع فى الثياب إذا كان يريد الظهور ، فكانت رعاية صاحب البطش وعنايته بالمفكرين إما لأنه كان حاكما مثقفاً ، وبعض هؤلاء الحكام كانوا على شىء كثير من الثقافة ، وإما لأنه رأى الثقافة زيًّا يتباهى به فكان صنيع هذا كصنيع الأثرياء الجهال الذين أغنتهم الحرب الكبرى الماضية فى أوربا ، فقد كانوا يجمعون الكتب والصور والآثار العلمية والفنية ، فينتفع بها غيرهم وإن لم ينتفعوا بها . وكل هذه الأسباب المختلفة توضح أسباب نمو الفكر فى عهود الأمان والاستقرار والحكومات القوية الباطشة . وإذا تدبرنا حقائق التاريخ ، وجدنا أن بطش الحكام بالفكر قلما كان ينجح إلا إذا كان هذا البطش بالفكر مبدأ وطنياً شعبياً ، كما حدث فى أسبانيا بعد سقوط دولة العرب فيها وقيام دولة الأسبان المسيحية ، فلم يكن البطش بالفكر فى عهد شارل الخامس وفيليب الثانى خطة الحاكم وحده ، وإنما كان يريده الشعب خطة وطنية دينية ، وهذا كان سبب تدهور أسبانيا . أما عهود الفوضى ، فكما أن الحكام فيها أضعف من أن يبطشوا بالفكر ، فهم كانوا أيضاً أضعف من أن يحموه ، وفى تلك العهود يكون كل ذى عصبية صغيرة صائلاً باطشاً فينشأ اضمحلال الفكر . أنظر إلى عهد النزاع بين الوالى العثمانى وسناجق المماليك ، وبين كل أمير وأمير ؛ وانظر إلى عهد الفوضى فى تاريخ مصر القديم بعد الأسرة السادسة وبعد الأسرة الثانية عشرة (ع . س)

مؤلف كتاب سحر العيون :

قرأت فى بعض أعداد « الثقافة » فصلاً دبجته براعة الأستاذ أحمد أمين بك يدور حول ما جاء فى كتاب « سحر العيون » من بحوث وتقسيمات

وقد ظن الأستاذ أن مؤلف هذا الكتاب مصرى استناداً على ما ورد فى الكتاب المذكور من أمثال عامية مصرية وغيرها

وأنا أقول : إن مؤلف هذا الكتاب دمشقى لا مصرى ، وهو من أدباء القرن التاسع الهجرى عاش حوالى سنة ٨٤٢ ؛ والدليل على ذلك ما ورد فى الكتاب المذكور :

قول المؤلف (ص ٢٩٨) : بلدينا الملاى الميثانى الدمشقى مواليا (الأبيات)

وقوله (ص ٣٠٣) : بلدينا الشيخ عبدالله الأرموى الدمشقى

وقوله (ص ٣٠٨) : نقلت من خط القاضى زين الدين عبد الرحمن بن الخراط (وهذه الأسرة دمشقية مشهورة)

وقوله (ص ٣١٢) : أنشدنى المرحوم الجناب العالى سرى الدين بن الدهبى من أعيان كتاب الإنشاء الشريف بدمشق فى غلام نشابى (الأبيات)

وقوله (ص ٣١٦) : الرشيد عبد الرحمن بن بدر النابلسى وفاته فى سنة تسع عشرة وستمائة ، ودفن بتربة باب الصغير ، (وهذا المدفن مشهور فى دمشق)

هذا ، وقد ورد فى الكتاب المذكور عدد غير قليل من الأسماء الدالة على أسر دمشقية شهيرة : كالعطار والسبكى والخراط والنابلسى وغيرها

أرجو إثبات هذه الملاحظات ولكم الشكر

« دمشق » يحيى الشهابى

من الشعر المنسى لحافظ

بعث المرحوم حافظ بك إبراهيم إلى صديقه الشاعر الناثر مصطفى صادق الرافعى طيب الله ثراه بهذه الأبيات :

قد قرأنا نظيمكم فرأينا ... حكمة كهلة وشعراً فتيّا
وتلونا نثيركم فشهدنا ... كاتباً بارع اليراع سريّا
خاطر يسبق العيون إلى القلب ... ويطوى منازل البرق طيّا
ومعانٍ كأنها الروح فى الصيف ... تهزّ النفوس هزّ الحميّا
من بنات الحمار يصبو إليها ... تاج كسرى وتشتهيها الثريّا
إيه يا رافعىّ أحسنت حتى ... لا أرى محسناً بجنبك شيّا
أنت والله شاعر حضرىّ ... إن عددناك شاعراً بدويّا

عبد القادر محمود الدسوقى

دخول أل على غير

لم يوجد فى معاجم اللغة العربية ولا فى كتب النحو ما يؤخذ منه جواز دخول (أل) على كلة غير . وقد قال الصبان فى باب الإضافة صفحة ١٦٢ ج ٢ ما نصه : « ونقل الشنوانى عن السيد أنه صرح فى حواشى الكشاف بأن غيراً لا تدخل عليها (أل) إلا فى كلام المولدين » اهـ . وتوضيح ذلك أن العلماء طراً نصوا على أن غيراً إسم ملازم للاضافة فى المعنى ، ولا يقطع عنها إلا إن فهم المعنى وتقدمت عليها ليس مثل قبضت عشرة ليس غير . ويجوز ليس غيراً وليس غير . فالأول على البناء ، والثانى على أنها معربة ؛ ويجوز ليس غيرها بالإضافة اللفظية . أنظر الصبان والتوضيح والمغنى وقاموس المحيط . وهناك قول بأن غيراً يقل إبهامها إذا وقعت بين ضدين مثل قوله تعالى : « أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم » . ويقال : رأيت الصعب غير الهين ، ومررت بالكريم غير البخيل

والشائع الذائع فى كلام العرب أن غير حين تستعمل تكون متوغلة فى الإبهام . والشأن فى مثلها ألا يتعرف بأى معرف ؛ غير أن بعض أمثلة من كلام العرب ورد فيها دخول (أل) على كلة غير حيث يريدون بذلك غيراً معيناً ، فهى بهذا قد خرجت من أصلها فبقى قولنا بأن (أل) لا تدخل على غير سليما حيث تكون متوغلة فى الإبهام، وذلك مثل: جاء اليوم غيرك، هذا الغير تناول من طعام النداء

أحمد حلمى العباسى
بجريدة الوفد المصرى



كتب قيمة

في تاريخ الأخلاق، الرسالة للإمام الشافعي، امتاع الأسماع

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

في تاريخ الأخلاق

يعجبني من الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين توفره على العلم وإكبابه على الدرس وشغفه بالمطالعة، وهو يجمع إلى ذلك حركة المصلح المجدد وحظوة العاقل المتزن. وقد ذكره أستاذنا الجليل الزيات مع جماعة من شباب الأزهر العلماء الذين يرجى الخير فيهم وتعلق الآمال عليهم. وفي السيد الزيات فراسة لا تخطئ واستكناه لا يكذب

وقد أخرج الأستاذ كتاباً «في تاريخ الأخلاق» لم يعمل فيه إلى أن يكون جمعاً صرفاً، وإنما هو دراسات صغيرة مختصرة لتطور مسائل هذا العلم وتعدد مذاهبه والموازنة بين مذهب ومذهب، وفكرة وفكرة

وليس عجيباً أن يقف اليوم شيخ من شيوخ الأزهر، يعرض المسائل الأخلاقية المتصلة بالفلسفة في القديم والحديث، وفي الشرق والغرب، فيبسطها بسطاً ويصورها تصويراً يدلان على الفهم والهضم، لا على الحفظ (والصم)

ليس عجيباً ذلك، فقد تغيرت اليوم طريقة الأزهر في العلم وتغيرت نظرته إلى الحياة، وسبيله إلى المعرفة؛ وأصبحنا نقرأ لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة بحثاً في (القرآن والمسلمين) يحمل مع خلوص النية، وصدق الطوية جرأة في الدعوة، ومرارة في النقد، واستقامة في القصد. وصرنا نقرأ للأستاذ العالم الشيخ محمد محمد المدني مقالاً (في الإسلام بين السلف والخلف) فنرى فيه الغيرة على الدين، والوضاحة في العقيدة، والشجاعة في قوله الحق، من غير خوف من تأويل مؤول

الحق أن في الأزهر نهضة تستمد عناصرها من حرية شيوخه ويقظة علمائه، يقظة يودعون بها إغفاءة العهد القديم.

الرسالة للإمام الشافعي

الرسالة للامام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي كتاب يقع في ٦٧٠ صفحة من القطع الكبير، قام بتحقيقه وشرحه الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي. وجرى في ذلك مجرى لم يقف عند الشرح والتحقيق، بل اقتضى إخراج ذلك الكتاب على الصورة الكاملة التي خرج عليها جهداً متصلاً، وصبراً طويلاً، وبصيرة في الفقه الإسلامي، وإحاطة بالتشريع، وذوقاً في الأدب، وأصالة في اللغة، وتمكناً في التاريخ

والحق أني ما قلبت صفحة من ذلك الكتاب إلا عجبت من صبر الأستاذ على البحث، وسرعة تقصيه المسائل، وتتبعه للأصول، وكثرة رجوعه للمظان وغير المظان، مما دل على اطلاع واسع وإلمام تام

وقد يكون إخراج كتاب قديم عملاً هيناً، وأمراً غير إدٍّ عند من لا يرقبون أمانة العلم، ولا يخشون حرمة الحق. وغرضهم من ذلك أن يطلعوا على السوق بعمل عملوه، ولو كان ناقصاً غير كامل، ومعيباً غير سالم

أما الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فبعيد من ذلك كله؛ فإذا عمل فلله، وإذا حقق فللعلم، وإذا أكب فهو موف على الغاية ومشرف على النهاية، لا يثنيه عن ذلك صعوبة بحث أو إعنات درس

ويظهر في الكتاب مزية الإخراج العلمي الحديث. ففي الأول: مقدمة وافية عن الرسالة وقيمتها وقيمة الشافعي، ونسخ الكتاب المخطوطة والمطبوعة، وأصل الربيع صاحب الشافعي وكاتب رسالته، ووصف النسخة التي رجع إليها الشارح وذكر أصحابها، ووصف نسخة ابن جماعة. ويلي المقدمة باب السماعات التي رتبها الشارح وحذف المكرر منها، ووضع لها فهرساً مرتباً على حروف المعجم

ويلي ذلك الرسالة وقد زينت بحواش مفيدة وتعليقات طيبة؛ ويلي ذلك جريدة المراجع التي استعان بها الشارح ورجع إليها،

ويمتاز عن كل ما رأينا من جرائد المراجع بحسن تنسيقها وذكر أجزاء الكتاب ، واسم المؤلف ووفاته ، وتاريخ طبع الكتاب ومكان طبعه

ويمتاز هذا الكتاب بكثرة مفاتيحه التي تسهل على القارئ الرجوع إليه في أوجز وقت ، كما أن فيه فهرساً للفوائد اللغوية التي استنبطت من استعمالات الشافعي ؛ وإن كنت لا أذهب مع فضيلة الشارح فيما رأى من وجوه لا أردها إلى علم الشافعي وجنحه إلى الضعيف من الأقوال والردئ من اللغات ، ولكني أردها إلى خطأ في النسخ ، ولو حاول فضيلته أن يبرئ الكتاب من الخطأ

امتاع الأسماع

إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع : المقريزي هو مؤلف هذا الكتاب ، والأستاذ محمود محمد شاكر هو مصححه وشارحه ، والسيدة قوت القلوب الدمرداشية هي القائمة بنفقات طبعه ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر هي المشرفة على إخراجه . فالكتاب مجدود من كل ناحية ، ومحظوظ من كل وجه .

وقد تفضل الأستاذ أحمد أمين بك عميد كلية الآداب بتقديم الكتاب في بضعة أسطر لم تخرج عن أن تكون شكراً للسيدة المتبرعة ، ولم يتعودنا الأستاذ الكبير هذا الاختصار في التقديم ، والإيجاز في التصدير .

وحبذا لو كان حدثنا عن الكتاب وقيمته بين كتب السيرة للمتأخرين وطريقة المقريزي فيه ؛ والنسخ المخطوطة والمطبوعة لهذا الكتاب ، والأصل الذي رجع إليه شارحه ، كما عودنا حضرته ذلك في الكتب التي تولى القيام عليها وأحسن التمهيد لها

وللأستاذ محمود محمد شاكر فضل تصحيح هذا الكتاب القيم ومراجعته على الأصل تارة ، وعلى أصول الحديث والتاريخ تارة أخرى ، وهو فضل يتجلى في الهوامش الكثيرة التي لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة ، والتي تدل على موفور اطلاع وواسع قراءة ومصفى ذوق عرف عن شاكر الأديب اللبيب

وليأذن لي الأخ الفاضل مصحح إمتاع الأسماع وشارحه بإبداء الملحوظات الآتية :

١ – في صفحة ٢٢٢ كلام على هيئة الرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل في الخندق يوم الوقعة ونصه كما ورد في الامتاع :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وزاد صديقنا الشارح البيت الآتي عن البخاري ح ٥ ص ١١٠

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

والأستاذ شاكر شاعر وعروضي ؛ فكيف فاته أن صواب البيت الأول :

(لاهم لولا أنت ما اهتدينا) ونداء اسم الجلالة بهذا الشكل وارد في كتب العرب . وكيف فاته أن البيت الثالث صوابه هكذا :

(إن الألى لقد بغوا علينا) أو (إن الذين قد بغوا علينا) ليستقيم الوزن الرجزي الذي كثيراً ما سمع عن رسول الله في الغزوات كقوله :

هل أنتِ ألا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيتِ

٢ – في صفحة ٢٢٤ (وما منهم ألا ابن خمس عشرة سنة) بكسرة على السين في خمس وهو خطأ مطبعي

٣ – وفي الصفحة نفسها (وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف) برفع ثلاثة والصحيح نصبها

٤ – في صفحة ٢٤٨ (رفاعة بن سموأل) وقد حذف ألف ابن مع وقوعها في أول السطر ، والصحيح إثباتها جرياً على المشهور من قواعد الإملاء . وقد كرر هذا الوهم نفسه في صفحة ٢٥٠ – إلا أنه يُجنَّب في بقية الصفحات

٥ – في صفحة ٢٩٧ (فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحُفنهم) . والضمة على الحاء لا محل لها هنا والصواب جعلها فتحة

٦ – في صفحة ٣٢٩ (واستشهد بخيبر خمسةُ عشر رجلاً) بضمة على التاء المربوطة من خمسة والصواب فتحها لبناء هذا العدد على فتح الجزأين

٧ – في صفحة ٤٠١ (من هوزان) وقد زادها الشارح للبيان . ولعلها (هوزان)

وبعد : فهذه هنوات لا تقلل من قيمة المجهود الذي بذله الأخ الكريم الأستاذ محمود شاكر في إمتاع الأسماع . ولعلها وردت ليصح قول القائل :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين

محمد عبد الغني حسن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين – عابدين)